تأملات



قراءة في أحاديث الحوض ودلالتها على ردة الصحابة كما تقوله الإمامية

قرأه وقدم له فضيلة الشيخ

صالح بن عبد الله الدرويش

القاضي بالمحكمة العامة بالقطيف

عبد الصمد بن عيسى الغامري

ح الغامدي، عبدالله عبشان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي ، عبدالله عبشان
تأملات في أحاديث الحوض./ عبدالله عبشان الغامدي.-
الدمام، ١٤٢٨هـ
١٦٥ ص ؛ ٢١سم
ردمك : ٧-١١٥-٥٧-٩٩٦٠
١- الجنة والنار ٢- الحديث- مباحث عامة أ- العنوان
ديوي ٢٤٣ ١٤٢٨/٦٤٢

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٦٤٢
ردمك: ٧-١١٥-٥٧-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ
صالح بن عبد الله الدرويش

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن عداوة الشيطان للإنسان لا تخفى على أدنى طالب علم، والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر:٦]، ويستخدم الشيطان في عداوته للإنسان لأجل غوايته كل وسيلة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى تلك الوسائل فقال: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء:١٢٠] وقال: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الإسراء:٦٤]، ومن سار وراء الشبهات والشهوات فقد سار وراء خطوات الشيطان، ونجد أن التنظير للعداوة كثير وواضح، وفي التطبيق العملي يقع كثير من الذين يعرفون هذه العداوة في حبائل الشيطان، فما بالك بغيرهم.

ومن المزالق العظيمة والفخاخ الكبيرة التي يصيد بها الشيطان فرائسه اتباع المتشابه، لذلك حذر الله تعالى من هذا الأمر، فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران:٧].

ومن الأصول المقررة عند أهل العلم رد المتشابه إلى المحكم وهذه قاعدة عظيمة نافعة محكمة لحل فتن الشبهات وإبطال الأقيسة الشيطانية، فإن إبليس أول من قاس وقارن، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٢]، فنظر إبليس لعنه الله إلى المادة التي خلق منها الإنسان، والمادة التي خلق منها الشيطان، ونسي أو تناسى الخالق سبحانه، وأن الخلق كله لله، وأن الذي أمره بالسجود هو الله سبحانه وتعالى، فنسي الخالق الذي أمره بالسجود والتفت إلى أمر خارج عن المطلوب.

ولهذا الكتاب قصة: كنت في بيت الله الحرام مع الشيخ: عبد الله بن حمود التويجري، وعبد الله البلوشي، ومحمد الباروت، في صيف عام (١٤٢٦هـ) وجاءني بعض طلبة الشيخ: يحيى اليحيى المشاركين في حفظ الصحيحين مع رجل في العقد الرابع، وكان الرجل يعرف بنفسه أنه طالب علم عنده شبهات يحب أن يسأل عنها، وبعد نقاش استمر من

صلاة العصر إلى صلاة العشاء، ظهر أن الرجل حجة الإسلام[١]، والرجل الثالث في إحدى السفارات الإيرانية في إحدى الدول الإفريقية، وهو المسئول عن ملف التشيع في تلك الدولة، وكان الرجل يطرح على الطلبة شبهات نمقها وزخرفها وزينها ويسألهم عن صحيح البخاري، وعن تلك الأحاديث موطن الشبهات، ولا يظهر حقيقته ولا يعرف بنفسه، بل يقول للطلبة أنه يتمنى أن يلتحق بالطلبة ويحفظ معهم.

وبعد نقاش طويل أعلن توبته -ونحسبه صادق في ذلك- وكشف النقاب عن حقيقته ونسأل الله لنا وله التوفيق والسداد.

فعرضت بعض تلك الإشكالات على أخينا الشيخ عبد الله بن عبشان، واستنهضت همته لكتابة هذه الرسالة، وتابعته فيها حتى يسر الله اتماها.

وهي فريدة في بابها، وفيها شمولية للمسائل التي طرحها، وإيضاح للحق، ودفاع عن صحابة الرسول ﷺ فدونك الرسالة، وبارك الله في كاتبها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) درجة علمية متقدمة عند الإمامية تمنحها الحوزة لطلابها.





تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة

معلومات

t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah

رابط الدعوة

الإشعارات

معطّلة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على توالي نعمه وعظيم أفضاله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته. وأشهد أن محمداً عبده المجتبى ونبيه المصطفى ﷺ وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فلقد خص الله تعالى نبينا ﷺ بخصائص كثيرة وعطايا وفيرة، ومن ذلك الحوض المورود في عرصات القيامة كما صحّت بذلك الأخبار عنه ﷺ؛ كرامة منه تعالى له ﷺ ولأمته التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وقد أخبر ﷺ في ثنايا هذه الأحاديث عن أناس من أمته يذادون ويطردون عن حوضه المبارك؛ لكونهم غيّروا بعده وارتدوا، حيث عبّر عنهم ﷺ بقوله: «أصحابي»، و«أعرفهم»، و«منكم» وغيرها من العبارات الدّالة على معرفته بهم، فتعلّق بهذه الأحاديث مَنْ غاية مقصودهم الطعن في أصحاب محمد رسول الله ﷺ والبحث عن

مثالبهم، حيث نزّلوها على خير جيل عرفته البشرية!

ولكم جرى من نقاش معهم فكانت هذه الأحاديث هي من أوائل أدلتهم، كما كانت كذلك مثار نقاش واستفهام من العوام وبعض طلاب العلم.

ولقد أبان أهل العلم -رحمهم الله- المقصود من هذه الأحاديث بما هو أبعد ما يكون عن مراد أهل الأهواء وفهمهم.

ولولا وجود هذا النص النبوي لما كانت للكتابة في موضوع رِدّة الصحابة أي حاجة، فهي دعوى ولدت ميتة، وأنَّى لميتٍ أن يعيش بين الأحياء!!

وقد تَداعى إلى إحيائها في هذا العصر المفتونون بتصيد العثرات والتجريح بالشهوات، فنفخوا فيها الروح بدعوى: (البحث العلمي المتجرد)! وهي دعوى أولها سفسطة وآخرها زندقة! ورحم الله الإمام السيوطي عندما قال عن دعوى قريبة من هذه الدعوى: «اعلموا يرحمكم الله أن من العلم كهيئة الدواء، ومن الآراء كهيئة الخلاء، لا تُذكر إلا عند داعية الضرورة»[1].

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص: ٥.

ولو طُلب من هؤلاء النقاش في أقوال أصحاب العمائم، وفي بعض عقائدهم لجعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكبارًا!

إن الطعن في الصحابة ﷺ طعن في الرسول ﷺ الذي ربى ذلك الجيل وزكّاه، بل هو طعن في الرب تبارك وتعالى الذي أثنى عليهم كثيراً في كتابه، وَضَرَب لهم مثلًا في التوراة والإنجيل!

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾ [الجمعة: ٢].

وشواهد الواقع وحقائق التاريخ تبطل هذا القول وتشهد بسخافته! فضلاً عن نصوص الكتاب والسنة، وهو دليل على رقّة الدين في قلب صاحبه، واتباعه غير سبيل المؤمنين، بل واتباعه غير سبيل أهل الكتابين من قبلنا حيث لم يجرؤ على مثل هذه الشناعة.

أولئك أتباع النبي وحزبه ... ولولاهم ما كان في الأرض مسلم
ولولاهم كانت ظلاماً بأهلها ... ولكن هم فيها بدور وأنجم
ولولاهم كانت تميد بأهلها ... ولكن رواسيها وأوتادها هم

ولا أدّعي - أخي القارئ - أنني أهلٌ للكتابة نيابة عن أهل العلم، ولكني لم أرَ من أفرد هذا الموضوع في بحث مستقل إلا في القليل النادر المفقود، بالرغم من حاجة الباحثين له وخاصة من له اهتمام بمناقشة الشيعة الإمامية، كما أني لم أرَ من استدل بالأحاديث التي استدللت بها على بطلان هذا القول، مثل ما ستراه منها في المبحث الأول من الفصل الثالث وفي غيره من المباحث. فإن أكن وفقت في هذا البحث للصواب فذلك فضل الله وحده وهو المحمود على كل نعمة، وإن كان خلاف ذلك فإليه المشتكى وأستغفر الله منه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

ورحم الله القائل:

أسير وراء الركب ذا عرج ... مؤملاً جبر ما لاقيت من عرج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورى في الناس من فرج

وإن ظللت بِقَفْر الأرض منقطعاً ... فما على أعرج في ذاك من حرج

ولا أدّعي براءة هذا البحث من كل عيب، فإن الإنسان عرضة للسهو والنقصان، وخاصة مع قلة العلم وكثرة الذنوب، وكماله في أن يزيد صوابه على خطئه.

وقد سميته: «**تأملات في أحاديث الحوض**».

فرحم الله امرأً أنصف أخاه، ودعا له بخير على ما بذله وأسداه، وسَدّ الخلل والنقص بالنصيحة والإرشاد.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى، وأن يرزقنا حُبّ أصحاب محمد ﷺ، والأدب معهم، وأن يجمعنا بهم وبنبينا ﷺ في جنات النعيم، وعسى أن يكون سبباً لفكاك المعتقلين في شَرَك المظلومية، وقيود الأوهام.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

والحمد لله رب العالمين..

وكتبه/
عبد الله بن عبشان الغامدي
الدمـــام - شوال ١٤٢٧هـ
«٠٥٠٥٨٧١٨٥٤»
aaggcam@hotmail.com





تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

خطة الكتاب

الفصل الأول: وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: عقيدة أهل السنة والجماعة في الحوض.

المبحث الثاني: تواتر أحاديث الحوض.

المبحث الثالث: من أنكر الحوض؟

المبحث الرابع: هل لكل نبي حوض؟

المبحث الخامس: هل الحوض موجود الآن؟

المبحث السادس: صفات حوض نبينا ﷺ.

المبحث السادس: معنى قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض».

المبحث الثامن: ترتيب الحوض بين أهوال القيامة.

الفصل الثاني: وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: في معنى الذود.

المبحث الثاني: أحاديث الذود عن الحوض.

المبحث الثالث: إيضاح معنى الذود في أحاديث الحوض.

المبحث الرابع: الألفاظ التي يتمسك بها الطاعنون.

الفصل الثالث: وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصحاب النبي ﷺ أول الواردين لحوضه الشاربين منه.

المبحث الثاني: ثناء نصوص الكتاب والسنة على الصحابة ﭫ ينقض القول بردتهم.

المبحث الثالث: وقفات مهمة.



الفصـــل الأول



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة

الإشعارات

معطّلة

المبحث الأول

عقيدة أهل السنة والجماعة في الحوض

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض الذي أكرم الله تعالى به نبينا ﷺ في عرصات يوم القيامة، يشرب منه المؤمنون من أمته دون معوّق أو مكدر، فلا ينالهم بعد ذلك نَصَب ولا وَصَب ولا ظمأ، كما صحت بذلك الأخبار عنه ﷺ.

وكل من ذكر اعتقاد أهل السنة والجماعة مجملاً أو مفصلاً، ذكر مسألة الحوض، فهي إذن من المسائل العقدية المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة.

وسوف أذكر جُملاً من كلامهم في إثبات هذه العقيدة التي اتفق عليها المسلمون إلا من شذ واتبع غير سبيل المؤمنين، وليس مقصودنا التتبع والاستقصاء لكلام أهل العلم في هذه المسألة، فكلامهم مشهور منشور في دواوين العلم يعرفه من طلبه، ولكن المقصود الاستئناس بذكر أقوالهم في هذا الأمر، سلكنا الله وإياكم في سلكهم وطريقهم.

وهاك أقوالهم مرتبة بحسب تسلسل سني وفياتهم رحمهم الله تعالى:

- قال الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) رحمه الله في رسالته لعبدوس بن مالك: «والإيمان بالحوض وأن لرسول الله حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته..»[١].

وقال الإمام ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ) رحمه الله في كتاب السنة: «باب: في ذكر حوض النبي ﷺ»[٢] ثم حشد النصوص في إثباته، ثم قال في نهايته: «والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم، أن يعلم كنه حقيقته أنها كذلك، وعلى ما وصف به نبينا عليه السلام حوضه، فنحن به مصدقون غير مرتابين ولا جاحدين، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به- وخذل المنكرين له المكذبين به عن الإقرار به والتصديق به ليحرمهم لذة شربه - أن يوردنا فيسقينا منه شربة نعدم لها ظمأ الأبد بطوله، ونسأله ذلك بتفضله»

- وقال الإمام الطحاوي (ت: ٣٢١هـ) رحمه الله: «والحوض - الذي أكرمه الله تعالى به غياثاً لأمته- حق»[٣].

وقال الإمام الآجري: (ت: ٣٦٠هـ) رحمه الله: «الإيمان بالحوض الذي

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ٢/ ٢٠١.

(٢) كتاب السنة ص: ٣٠٧-٣٤٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٢٧.

أعطي للنبي ﷺ» وساق النصوص الدالة عليه، ثم قال: «فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ويكذب به، وفيما ذكرناه من التصديق بالحوض الذي أعطاه الله ﷻ نبينا محمداً ﷺ كفاية عن الإكثار»[١].

- وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت: ٣٨٦هـ) رحمه الله، في رسالته المشهورة: «والإيمان بحوض رسول الله ﷺ، تَرِدُهُ أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدّل وغيّر»[٢].

وقال الإمام اللالكائي (ت: ٤١٨هـ) رحمه الله: «سياق ما روي عن النبي ﷺ في الحوض»[٣] وساق رواية عدد من الصحابة رضي الله عنهم لأحاديث الحوض.

- وقال الإمام الصابوني (ت: ٤٤٩هـ) رحمه الله: «ويؤمنون - يعني أهل السنة - بالحوض والكوثر»[٤].

- وقال الإمام ابن حزم (ت: ٤٥٦هـ) رحمه الله: «وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه، وهو كرامة للنبي ﷺ، ولمن ورد عليه من أمته»[٥].

---

(١) الشريعة ص: ٣٦٣- ٣٦٨.

(٢) قطف الجنى الداني ص: ٤٧.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦/ ١١٨٨.

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص: ٦١.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٣٧٠.

- وقال الإمام ابن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ) رحمه الله: «والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم»(١).

- وقال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) رحمه الله: «وحديث الحوض صحيح، والإيمان به واجب، والتصديق به من الإيمان، وهو على وجهه عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يحال عن ظاهر...»(٢).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: «وفي عرصات يوم القيامة: الحوض المورود لمحمد ﷺ»(٣).

فهذه بعض أقوال أهل العلم رحمهم الله من محدثين وفقهاء من جميع المذاهب في إثبات الحوض لنبينا ﷺ وهي مسألة محل اتفاق بين المسلمين لا تحتاج إلى كثير إثبات، وليس مع منكرها مستمسك إلا كما قال ابن حزم رحمه الله: «ولا ندري لمن أنكره متعلقاً إلا الجهل بالآثار..»(٤).

والله الموفق.

---

(١) التمهيد ٢/ ٢٩١.

(٢) إكمال المعلم ٧/ ٢٦٠.

(٣) العقيدة الواسطية ص: ٢٨.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٣٧٠.

المبحث الثاني
تواتر[١] أحــاديث الحــوض

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها عن النبي ﷺ عدد كثير من الصحابة ﭫ، وهذه الأحاديث تتفق متونها في إثبات الحوض، وتختلف بعض تفاصيلها، قال القاضي عياض ﵀: «وهو حديث ثابت متواتر النقل، رواه جماعة من الصحابة» ثم ساق مَنْ رواه، ثم قال: «وفي بعض هذا ما يُخرج هذا الحديث عن خبر الواحد إلى حديث الاستفاضة و التواتر»[٢]

وقال ابن أبي العز الحنفي ﵀: «الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر»[٣].

(١) الحديث المتواتر: هو ما رواه قوم لا يُحصى عددهم، تحيل العادة توافقهم على الكذب. وله شروط.
انظر: النكت ص: ٥٨، تدريب الراوي ٢/ ٦٢٦، مجموع الفتاوى ٢٠/ ٢٥٨، ١٨/ ٥٠، معجم مصطلحات الحديث ص: ٣٤٨.
(٢) إكمال المعلم ٧/ ٢٦٠.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٢٧.

قال الحافظ ابن حجر مستدركاً على القاضي عياض والنووي عدد من روى أحاديث الحوض من الصحابة: «فجميع من ذكرهم عياض خمسة وعشرون نفساً، وزاد عليه النووي ثلاثة، وزدت عليهم أجمعين قدر ما ذكروه سواء، فزادت العدة على الخمسين... وبلغني أن بعض المتأخرين وصلها إلى رواية ثمانين صحابياً»[١].

فأنت ترى أن أحاديث الحوض قد رواها هذا العدد الكثير من أصحاب النبي ﷺ، ودوّنها علماء الحديث في جوامعهم ومسانيدهم وصحاحهم، وهذا يجعل عند المسلم اليقين التام بصحة هذه الأخبار وقطعيتها؛ ولهذا قال أهل العلم: إن الخبر المتواتر يفيد العلم الضروري، وهو الذي يضطر الإنسان إليه بحيث لا يمكن دفعه، ومعنى العلم الضروري: إنه لا يحتاج إلى استدلال، فهو حاصل لمن ليس له أهلية النظر؛ كالعامي، والبُله، والصبيان وغيرهم؛ بخلاف العلم النظري، والله أعلم.

(١) فتح الباري ١١/ ٥٧٠.

المبحث الثالث
مـــن أنكــر الحــوض؟

أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض كما دلت على ذلك السّنة المتواترة عنه ﷺ، وقد أنكر بعض أهل البدع والأهواء ثبوت الحوض وَيُردّ عليهم بأمرين:

١-الأحاديث المتواترة عن الرسول ﷺ في إثبات حوضه.

٢- إجماع أهل السنة قاطبة على ذلك.

قال القرطبي ﵀: «مما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به: إن الله تعالى خص نبيه محمداً ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض... وقد أنكرته طائفة من المبتدعة، وأحالوه عن ظاهره، وغلوا في تأويله من غير إحالة عقلية، ولا عادية، تلزم من إقراره على ظاهره، ولا منازعة سمعية ولا نقلية تدعو إلى تأويله، فتأويله تحريف صدر عن عقل سخيف خرق به إجماع السلف، وفارق به مذهب أئمة الخلف»[١].

قال ابن حجر ﵀ معلقاً على كلام القرطبي: «قلت: أنكره الخوارج وبعض المعتزلة»[٢].

---

(١) المفهم ٦/ ٩٠.

(٢) فتح الباري ١١/ ٥٦٩.

قال الأشعري رحمه الله: «وأنكرت المعتزلة الحوض، وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم بلا خلاف»[(١)].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: «وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، وأهل الحق على التصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ»[(٢)].

والمعتزلة تجري في إنكارها للحوض وفق أصولها الضالة من إنكار الأحاديث المتواترة والثابتة عن النبي ﷺ في كل ما يخالف أصولها، وتؤوِّل أكثر السمعيات، وتحيلها عن ظاهرها؛ وذلك لزعمهم أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين، بخلاف الأدلة العقلية التي تفيد اليقين عندهم، ولهذا كان منهجهم خليطاً من التخرصات والظنون الذي يسمونه: تقديم العقل على النقل.

ولقد انتصر لفكرها واعتنق مذهبها في هذا العصر أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة، والتي أخضعت الإسلام في عقيدته وأصوله إلى فكر عقلاني مادي، يخضع في تفسير الغيبيات وغيرها لذوق فاسد يتمشى مع المفاهيم العقلانية البشرية المحدودة.

---

(١) الإبانة ص: ١٦٤.

(٢) التمهيد ٢/ ٢٩١.

تنبيـــه:

يسير متأخرو الإمامية الإثني عشرية في عقائدهم سير المعتزلة في مسائل الصفات والقدر، قال شيخ الإسلام: «وأما عمدتهم في النظر والعقليات: فقد اعتمد متأخروهم على كتب المعتزلة، ووافقوهم في مسائل الصفات والقدر» وقال أيضاً: «... لكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة...»[١]

ولهذا لا تكاد تجد فَرْقًا بين آراء المعتزلة وبين ما هو مسطور في كتب الإمامية في كثير من مسائل العقيدة[٢]، فهل يلزمهم على هذا إنكار الحوض كما أنكرته المعتزلة؟

الجواب: لا، فالإمامية تثبت الحوض لنبينا ﷺ، ولكنّها تكيِّف هذه العقيدة لخدمة المذهب، حيث تستدل به على أمرين:

الأول: إثبات الإمامة في قوله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٧٠، ٧٢.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين ص: ٤٤-٦٥، الملل والنحل ١/ ١٩٣، أصول مذهب الشيعة ٢/ ٦٤٩.

الحوض؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[(١)].

وأنت ترى أن الحديث ليس فيه إلا الوصية بالعترة، وهي شاملة لزوجاته، وبقية أهل بيته ﭫ، وهو ما لا يقول به هؤلاء، وليس فيه من أمر الإمامة شيء، قال المباركفوري: «فمن أقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا، فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يرد الحوض فشكرا صنيعه عند رسول الله ﷺ فحينئذ هو نفسه يكافئه، والله تعالى يجازيه بالجزاء الأوفى، ومن أضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس...»[(٢)].

الثاني: إثبات رِدّة الصحابة ﭫ، وهو ما سنتولى الرد عليه في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

وقد حصل الإنكار للحوض في أواخر عهد الصحابة ﭫ، وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد[(٣)]، أحد أمراء العراق لمعاوية ﭬ وولده،

(١) الترمذي رقم: (٣٧٨٨)، وأحمد رقم: (١١١٠٤) وغيرهما، وصححه الألباني، وانظر: الصحيحة رقم: (١٧٦١).

(٢) تحفة الأحوذي ١٠/ ١٩٧، وانظر: منهاج السنة ٧/ ٣١٨، ٣٩٣-٣٩٧.

(٣) هو: عبيد الله بن زياد بن أبيه، ولي البصرة وخرسان، وكان أول عربي قطع جيحون، كانت فاجعة مقتل الحسين ﭬ على يد جيشه، وأبغضه الناس لذلك، كان فاتحاً شجاعاً جباراً، قتله ابن الأشتر في عاشوراء سنة ٦٧هـ. السير٣/ ٥٤٥، البداية والنهاية ٩/ ٧٥، الأعلام ٤/ ١٩٣.

فقد أخرج أبو داود عن أبي برزة: «أنه دخل على عبيد الله بن زياد، فحدثني فلان - سمّاه مسلم، وكان في السِّماطِ[١]، فلما رآه عبيد الله قال: إن مُحَمَّدِيَّكمُ هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال: ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد ﷺ، فقال له عبيد الله: إن صحبة محمد ﷺ لك زين غير شين، ثم قال: إنما بَعثت إليك لأسألك عن الحوض، سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً؟ فقال له أبو برزة: نعم؛لا مرة، ولا ثنتين، ولا ثلاثاً، ولا أربعاً، ولا خمساً، فمن كذّب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضبا»[٢].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق يزيد بن حيّان عن زيد بن أرقم، قال: «بعث إليّ عبيد الله بن زياد، فأتيته، فقال: ما أحاديث تحدثها وترويها عن رسول الله ﷺ لا نجدها في كتاب الله؟ تحدث أن له حوضاً في الجنة؟ قال: قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعَدَناه. قال: كذبت، ولكنك شيخ قد خَرِفْتَ.قال: إني قد سَمِعَتْهُ أذناي، ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ يقول: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من جهنم» وما كذبت

(١) السّماط: الجماعة من الناس والمراد به هنا: الجماعة الذين كانو جلوساً عن جانبيه.النهاية ص:٤٤٥، اللسان ٦/ ٣٦٣.

(٢) أبو داود- باب في الحوض -رقم: (٤٧٤٩)، وصححه الألباني.

على رسول الله ﷺ..»[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «دخلت على ابن زياد وهم يتذاكرون الحوض، فلما رأوني طلعت عليهم، قالوا: قد جاءكم أنس، فقالوا: يا أنس، ما تقول في الحوض؟فقلت: والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم، تشكُّون في الحوض، لقد تركت عجائز بالمدينة ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها عز وجل أن يوردها حوض محمد ﷺ»[٢].

قال الآجري رحمه الله: «ألا ترون إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يتعجب ممن يشك بالحوض، إذ كان عنده أن الحوض ممن يؤمن به الخاصة والعامة، حتى العجائز يسألن الله عز وجل أن يسقيهن من حوضه ﷺ! فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ويكذب به».

وقال ابن أبي العز رحمه الله: «فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلقْ بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر»[٣].

وهذا الذي حصل من إنكار الحوض هو مصداق ما أخبر به عمر

---

(١) أحمد ٣٢/ ١٣ رقم: (١٩٢٦٦)، وابن أبي عاصم رقم: (٦٩٩)، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢)الآجري في الشريعة رقم: (٨٥٢)، وابن أبي عاصم في السنة رقم: (٦٩٨)، وأحمد في مسنده ٢١/ ٩٦رقم: (١٣٤٠٥) وفيه ابن جدعان ضعيف، وقال الألباني عن إسناد الآجري وابن أبي عاصم: إسناده صحيح.

(٣) شرح الطحاوية ص: ٢٢٩.

بـن الخطـاب رضي الله عنه أنـه قـال: «سـيأتي قـوم يكـذبون بالقـدر، ويكـذبون بالحوض، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار»[١].

ومثل هذا القول لا يقال بالرأي بل بتوقيف منه ﷺ، والله أعلم.

وقد جاء ما يدل على رجوع ابن زياد عن هـذا القـول فيما أخرجه الإمام أحمد والآجري: «أن أبا سبرة بن سلمة سمع ابن زياد يسأل عن الحوض فقال: ما أراه حقاً، بعدما سأل أبا برزة الأسلمي، والبراء بن عازب، وعابد بن عمرو المدني، فقال: ما أُصدّق، فقال أبو سبرة: ألا أحدثك في هذا الحديث شفاء؟ بعثني أبوك إلى معاوية رضي الله عنه في مال، فلقيت عبد الله بن عمرو، فحدثني عبد الله بن عمرو بفيه، وكتبته بيدي، ما سمع من رسول الله ﷺ، فلم أزد حرفاً، ولم أنقص حرفاً، حدثني أن رسول الله ﷺ قال: -في حديث طويل قال فيه - موعدكم حوضي، عرضه مثل طوله.. فقال ابن زياد: ما حُدثت عن الحوض حديثاً هو أثبت من هذا، أشهد أن الحوض حق، وأخذ الصحيفة التي جاء بها أبو سبرة»[٢].

---

(١) ابن أبي عاصم في السنة رقم: (٦٩٧). وقال الألباني: حديث موقوف حسن. ورواه غيره بدون ذكر الحوض.

(٢) أحمد رقم: (٦٥١٤)، وابن أبي عاصم في السنة رقم: (٧١٩)، والآجري رقم: (٨٣٩)، وصححه الألباني، وانظر: جزء في ما روي ذي الحوض والكوثر لبقي بن مخلد ص: ١٠٤.

المبحث الرابع

هل لكل نبي حوض؟

هل الحوض من خصائص نبينا ﷺ التي لم يشاركه فيها أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أم أن لكل نبي حوضاً؟

قال شارح الطحاوية رحمه الله: «وقد ورد في أحاديث: أن لكل نبي حوضًا، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها وارداً»(١).

وهو يشير إلى ما أخرجه الترمذي من حديث الحسن عن سمرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون، أيهم أكثر وَارِدَة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث: عن الحسن، عن النبي ﷺ، مرسلًا؛ ولم يذكر فيه: عن سمرة، وهو أصح»(٢).

وقد روى الحديث كذلك الطبراني في الكبير (٧/ ٢٥٦) من طريق سلسلة آل سمرة، وهي سلسلة ضعيفة، والبخاري في التاريخ الكبير

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص: ٢٢٨.

(٢) الترمذي-كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض - رقم: (٢٤٤٣).

(١/ ٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة رقم: (٧٣٤)؛ كلهم من حديث الحسن عن سمرة، وفي سماع الحسن من سمرة خلاف مشهور، والحسن مدلس، وقد عنعن، ولم يصرح بالسماع؛ ولذا قال الترمذي عن رواية الحسن: إنها مرسلة، وصححها.

قال الحافظ ابن حجر ﵀: [١] «وقد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض، لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه: «إن لكل نبي حوضاً» وأشار إلى أنه اختلف في وصله وإرساله، وأن المرسل أصح. قلت: والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته، ألا إنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً، وإني أرجو أن أكون أكثرهم تبعاً». وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولاً مرفوعاً مثله وفي سنده لين، وأخرج ابن أبي الدنيا أيضًا من حديث أبي سعيد رفعه: «وكل نبي يدعو أمته، ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من يأتيه الاثنان، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة» وفي إسناده لين، وإن ثبت فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي

(١) فتح الباري ١١/ ٥٦٨

يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة» انتهى.

وحديث الترمذي السابق مسلسل بالعلل سوى ما ذُكر من تدليس الحسن، ولا سيما عن سمرة وقد عنعن، والإرسال الذي رجحه الترمذي فإن فيه: (سعيد بن بشير الأزدي) وهو ممن تُكلم فيه، قال الحافظ في التقريب: «ضعيف»[١]، ومع ما في شيخ الترمذي: «أحمد بن محمد بن نِيْزَك» من كلام، قال الذهبي: «قال ابن عدي: في أمره نظر، ومشّاه غيره»[٢]. وقال الحافظ: «صدوق في حفظه شيء»[٣].

لذا قال الألباني رحمه الله عن سند الترمذي: «السند لا يقبل التحسين، فإن فيه ثلاث علل...» وهي التي ذكرناها سابقاً، ثم ذكر أنه وقف على إسناد الطبراني في الكبير، وفي إسناده ضعف كذلك، لكنه ذكر أن للحديث شاهدين موصولين، وشاهداً آخر مرسلًا وذكرها، ثم قال الألباني رحمه الله: «وجملة القول: أن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح. والله أعلم»[٤] انتهى ملخصاً.

---

(١) التقريب ص:٣٧٤.

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ٢٩٦

(٣) التقريب ص: ٩٨

(٤) الصحيحة رقم: (١٥٨٩).

وهذا القول وهو أن لكل نبي حوضًا، هو الذي مال إليه ابن القيم في تهذيب السنن[١].

وبهذا يتضح أن الحديث بمجموع هذه الطرق يتقوّى، ويؤيده المعنى كما قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إن الله عز وجل بحكمته وعدله كما جعل للنبي محمد ﷺ حوضًا يرده المؤمنون من أمته، كذلك يجعل لكل نبي حوضاً، حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي عليه الصلاة والسلام»[٢].

وعلى هذا يكون حوض نبينا ﷺ أكثرها وارداً، وأكبرها حجماً، وأحلاها مذاقاً، مع ما خص به ﷺ من الكوثر الذي يصب فيه، ويكون لكل نبي حوض يرد عليه المؤمنون من أمته، ويذود نبينا ﷺ كل غريب ليس مَن أمته عن حوضه، يعرفهم بسيماهم وهي الغرة والتحجيل[٣]، وهي سيما ليست لأحد من الأمم اختصت بها هذه الأمة المرحومة، وغيرها من العلامات، كما رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: «... وإني لأصُدُّ الناس عنه كما يصدُّ الرجل

---

(١) تهذيب السنن بحاشية عون المعبود ١٣/ ٥٧

(٢) شرح العقيدة الواسطية ٢/ ١٥٩.

(٣)الغرة: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، التحجيل: بياض في يديها ورجليها، مسلم بشرح النووي ٣/ ١٣٥، مختار الصحاح ص: ٢٢٥.

إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ.؟قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليَّ غراً محجلين من أثر الوضوء»[١].

فائدة:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والحكمة في الذود المذكور، أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم أن لكل نبي حوضًا، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلًا عليهم بالماء، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والعلم عند الله تعالى»[٢].

---

(١) مسلم - كتاب الطهارة - رقم: (٢٤٧).

(٢) فتح الباري ١١/ ٥٧٧.

المبحث الخامس

هل الحوض موجود الآن؟

ثبت عن النبي ﷺ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: «إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن..»[١]، وفي رواية أخرى: «وإني لأنظر إليه من مقامي هذا»[٢]، وفي حديث أبي سعيد الخدري قال: «بينما نحن جلوس في المسجد خرج علينا رسول الله ﷺ في المرض الذي توفي منه عاصباً رأسه بخرقة، فجاء حتى قام على المنبر، فلما استوى عليه قال: والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة...»[٣].

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[٤].

قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «والله إني لأنظر إلى حوضي الآن»

(١) البخاري - كتاب الجنائز - رقم: (١٣٤٤)

(٢) البخاري - كتاب المغازي - رقم: (٤٠٤٢)، ومسلم - كتاب الفضائل - رقم: (٢٢٩٦).

(٣) بقي بن مخلد في جزء جمعه في الحوض والكوثر ص ٨١.

(٤) البخاري -كتاب الصلاة- رقم: (١١٩٦)، ومسلم -كتاب الحج- رقم: (١٣٩٠) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

يحتمل أنه كشف له عنه لما خطب وهذا هو الظاهر، ويحتمل أنه يريد رؤية القلب»[١]. أما رؤية القلب فبعيد؛ لأن الأصل حمل الكلام على حقيقته، وهو رؤية العين، وهي آلة الإبصار، وهي جائزة عقلاً مع ما صح شرعاً، فيكون الحديث من أعلام النبوة، وخاصة أنها جاءت مقرونة (بإلى) الدالة على أن الرؤية للعين الباصرة[٢]، مع ما ذُكر في الحديث من المؤكدات من القسم والنون المؤكدة واللام، وهذا هو الذي رجحه العيني حيث قال: «وفيه أن الحوض مخلوق موجود اليوم وأنه حقيقي، وفيه معجزة للنبي ﷺ حيث نظر إليه في الدنيا وأخبر عنه»[٣] والله أعلم.

وأما قوله ﷺ «ومنبري على حوضي» فقال النووي رحمه الله: «قال القاضي: قال أكثر العلماء: المراد منبره بعينه الذي كان في الدنيا، قال: وهذا هو الأظهر، قال: وأنكر كثير منهم غيره، قال: وقيل: إن له هناك منبراً على حوضه، وقيل: إن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة، يورد صاحبه الحوض ويقتضي شربه منه، والله أعلم»[٤].

(١) فتح الباري ١١/ ٥٧٨.
(٢) انظر: الاعتقاد ص: ١٢٦، وحادي الأرواح ص:٤٩٦.
(٣)عمدة القاري ٨/ ٢٣١.
(٤) شرح مسلم للنووي ٩/ ١٦٢.

المبحث السادس

صفات حوض نبينا ﷺ

جاءت صفات حوض نبينا ﷺ في أحاديث عديدة حددت ملامح هذا الحوض المبارك، واختلاف العبارات في بعض ألفاظ الأحاديث لا تُوجب تناقضاً أو اضطراباً؛ لأنها أحاديث جاءت عن غير واحد من الصحابة سمعوه منه ﷺ في مواطن مختلفة، وقد كان ﷺ يخاطب كل قوم بما يفهمون من الكلام والأمثال، وكلها متقاربة من جهة المعنى، والله أعلم.

وإليك صفات الحوض المبارك كما جاءت بها الأحاديث عنه ﷺ:

أولاً: ماؤه:

أما ماؤه فهو أبيض من اللبن، وفي رواية عند مسلم: «ماؤه أبيض من الورِق»(١) أي: الفضة.

وفي رواية: «لهو أشد بياضًا من الثلج».

ثانياً: ريحه:

ريحه أطيب من المسك.

---

(١) مسلم -كتاب الفضائل - رقم: (٢٢٩٢)، و-كتاب الطهارة - رقم: (٢٤٧).

ثالثاً: كيزَانُهُ:

والكُوز: ما يُغترف فيه فيشرب[١].

كيزانه كعدد نجوم السماء، وفي رواية: «ترى فيه الآنية مثل الكواكب»[٢].

وفي رواية عند مسلم: «ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء»[٣].

وفي رواية عند مسلم: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية..»[٤].

وقد جاءت هذه الصفات السابقة في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا»[٥].

---

(١) القاموس ص:١٥٣٨، النهاية ص: ٨١٦.

(٢) متفق عليه.البخاري - كتاب الرقاق - رقم: (٦٥٩٢)، ومسلم - كتاب الفضائل -رقم: ٢٢٩٨.

(٣) مسلم - كتاب الفضائل - رقم: (٢٣٠٣).

(٤) مسلم -كتاب الفضائل -رقم: (٢٣٠٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) البخاري -كتا الرقاق -رقم: (٦٥٧٩)، ومسلم -كتاب الفضائل- رقم: (٢٢٩٢)، وهذا لفظ البخاري.

رابعا: آثاره:

أما آثاره فإن من شرب منه فلا يظمأ أبدًا.

وفي رواية: «...ولم يَسْوَدَّ وجهه أبدًا»[١].

خامساً: طعمه:

«أحلى من العسل»[٢].

سادساً: برودته:

«أبرد من الثلج»[٣].

سابعاً: استمداده:

جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عن الحوض: «يَشْخُبُ فيه ميزابان من الجنة...» وفي حديث ثوبان رضي الله عنه: «يَغُتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من وَرِق»[٤].

قال النووي رحمه الله: «قال الهروي: ومعناه يدفقان فيه الماء دفقاً متتابعاً شديداً...وقيل: يصبان فيه دائماً صباً شديداً»[٥].

---

(١) أحمد ٥/ ٢٥٠، وابن حبان ١٤/ ٣٧٠، وابن أبي عاصم رقم: (٧٢٩)، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٢) مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٠٠، ٢٣٠١) من حديث أبي ذر وثوبان رضي الله عنهما.

(٣) أحمد (٥/ ٣٩٠) وابن أبي عاصم رقم (٧٢٤، ٧٢٥) وقال الألباني: إسناده حسن.

(٤) مسلم، كتاب الفضائل، رقم (٢٣٠٠، ٢٣٠١) من حديث أبي ذر وثوبان رضي الله عنهما.

(٥) مسلم بشرح النووي ١٥/ ٦٣.

والسؤال الذي يَرِدُ هنا: هل الحوض هو الكوثر أم لا؟

قال القرطبي رحمه الله: «واختلف أهل التأويل في الكوثر الذي أُعطِيه النبي ﷺ على ستة عشر قولاً: **الأول**: أنه نهر في الجنة.. **الثاني**: أنه حوض النبي ﷺ في الموقف، قاله عطاء. وفي صحيح مسلم[(١)] عن أنس قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت عَلَيَّ آنفاً سورة - فقرأ - بسم الله الرحمن الرحيم -: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر:١-٣]. ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم.قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيُخْتَلج العبد منهم فأقول: إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك».

والأخبار في حوضه في الموقف كثيرة، ذكرناها في كتاب (التذكرة)[(٢)]، وأن على أركانه الأربعة خلفاءه الأربعة رضوان الله عليهم

(١) مسلم - كتاب الصلاة - رقم: (٤٠٠).

(٢) التذكرة ١/ ٤٦١

وأن من أبغض واحداً منهم لم يسقه الآخر[١]، وذكرنا هناك من يطرد عنه...ثم يجوز أن يسمى ذلك النهر أو الحوض كوثراً، لكثرة الواردة والشاربة من أمة محمد عليه السلام هناك.ويسمى به لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير...» .

ثم قال بعد ذكره الأقوال: «قلت: أصح هذه الأقوال الأول والثاني، لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه، وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر أن الحوض:

«يشخب فيه ميزابان من الجنة» وله شاهد من حديث ثوبان[٣]، وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «ويُفتح نهر من الكوثر إلى الحوض»[٤][٥].

---

(١) ذكره الذهبي في الميزان ١/ ١٦٠، والحافظ في اللسان، تحت ترجمة: إبراهيم بن عبد الله المصيصي أحد المتروكين، وانظر: المجروحين ١/ ١١٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٩٨ - ٢٠٠ بتصرف.

(٣) سبق قبل قليل.

(٤) المسند ٦/ ٣٢٨ رقم: (٣٧٨٦). وقال محققه: إسناده ضعيف.

(٥) فتح الباري ١١/ ٥٦٧ بتصرف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة، أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر...»[١]، وجاء في صفة الكوثر أنه: «...ماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»[٢]، وهو بعض صفات الحوض، وعلى هذا فالحوض هو مجمع المياه الذي يصب فيه نهر الكوثر، فهو غير الكوثر وإن كان هو أصل مادته واستمداده، والله أعلم.

ثامناً: سعته:

جاءت روايات كثيرة عن النبي ﷺ في تحديد سعة الحوض، ظاهرها التعارض ولا تعارض بحمد الله، وهذه الروايات هي:

١- «كما بين جَرْبَاءَ وأَذْرُحَ».

٢-«من عدن إلى عمّان البلقاء» وفي رواية: «كما بين عمّان إلى عدن».

٣- «كما بين أَيْلَةَ وصنعاء من اليمن».

٤-«كما بين المدينة وصنعاء» وفي رواية: «كما بين صنعاء إلى المدينة» وفي رواية: «كما بين صنعاء ويثرب».

٥-«عرضه كما بين أيلة إلى الجُحْفَة».

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٧٢١.

(٢) الترمذي رقم: (٣٣٦١)، وابن ماجه رقم: (٤٣٣٤).

٦ -«مابين عمَّان إلى أيلة»وفي رواية: «ما بين أيلة إلى عمَّان».

٧- «ما بين المدينة وعمَّان» وفي رواية: «من مقامي إلى عمَّان».

٨- «كما بين الكوفة إلى الحجر الأسود».

٩- «ما بين الكعبة وبيت المقدس».

١٠ -«لأبعدُ من أَيْلة إلى عدن» و في رواية: «ما بين عدن إلى أيلة».

١١ -«أبعد ما بين أيلة إلى مكة». وفي رواية: «قدر ما بين...».

١٢- «ما بين البيضاء إلى البصرى».

١٣ -«كما بين أيلة ومصر».

١٤ -«أوسع ما بين أيلة إلى الكعبة».

١٥- «ما بين عمّان واليمن».

١٦- «ما بين الجابية إلى صنعاء».

١٧- «مسيرة شهر زواياه سواء»، وفي رواية: «عرضه مثل طوله».

١٨ -«ما بين مكة وصنعاء».

١٩- «كما بين صنعاء إلى بصرى».

٢٠ -«كما بين المدينة وعُمان».

٢١ -«ما بين أيلة إلى المدينة».

٢٢ -«ما بين المدينة إلى بيت المقدس».

٢٣- «ما بين عُمان إلى أَيْلة» (١).

(جَرْبَاء وأَذْرُح): هما قريتان بالشام بينهما ثلاث ليال.

(أيلة): بلد معروف فيما بين مصر والشام بطرف بحر القلزم وبينها وبين المدينة شهر بسير الأثقال.

(بُصْرى): بلد معروف بطرف الشام من جهة الحجاز.

(البيضاء): البيضاء بالقرب من الربذة، البلد المعروف بين مكة والمدينة.

(الجابية): حي بدمشق.

(الجحفة): قرية جامعة أحد مواقيت الحج، بينها وبين المدينة ثمانية مراحل وهي على طريق مكة وهى: (مهيعة).

قال القاضي عياض رحمه الله: «وقوله: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء» أي أركانه، ذكر بعضهم في الاستدلال على علمه ﷺ بسائر العلوم، واحتوائه على جميع المعارف، وأن هذا من علم الهندسة والتكسير والحساب، وأن معنى ذلك كونه مربعاً معتدل التربيع، كما قال

---

(١) للتوسع في معرفة هذه الأقوال انظر: فتح الباري ١١/ ٥٧٢-٥٧٥، السنة لابن أبي عاصم ص: ٣٠٧-٣٤٦، كشف الغمة ص: ٩٩-١٢٢ وغيرها.

في الحديث الآخر: «عرضه مثل طوله»..[١].

وقال القرطبي رحمه الله: «أي: أركانه معتدلة. يعني أن ما بين الأركان متساوٍ، فهو معتدل التربيع»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: «وهذه المسافات متقاربة، وكلها ترجع إلى نحو نصف شهر أو تزيد على ذلك قليلًا أو تنقص. وقد جمع العلماء بين هذا الاختلاف، فقال عياض: هذا من اختلاف التقدير؛ لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيعد اضطراباً من الرواة، وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن مختلفة. وكان ﷺ يضرب في كل منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته بما يسنح له من العبارة، ويقرب ذلك للعلم ببعد ما بين البلاد النائية بعضها من بعض لا على إرادة المسافة المحققة، قال: فبهذا يجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى. انتهى ملخصاً، وفيه نظر من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأما هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد تارة على ثلاثين يومًا وينقص إلى ثلاثة أيام فلا، قال القرطبي: ظن بعض القاصرين أن الاختلاف في قدر الحوض اضطراب وليس كذلك، ثم

(١) إكمال المعلم ٧/ ٢٥٨.

(٢) المفهم ٦/ ٩٢.

نقل كلام عياض وزاد: وليس اختلافاً بل كلها تفيد أنه كبير متسع متباعد الجوانب، ثم قال: ولعل ذكره للجهات المختلفة بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهة فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، وأجاب النووي: بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة، فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة. وحاصله أنه يشير إلى أنه أُخبر أولاً بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بها، كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة».

ثم قال ابن حجر رحمه الله: «وجُمع باختلاف السير البطيء وهو سير الأثقال، والسير السريع وهو سير الراكب المخف، وبحمل رواية أقلها وهو الثلاث على سير البريد، فقد عهد منهم من قطع مسافة الشهر في ثلاثة أيام ولو كان نادرًا جدًا»(١).

تنبيه:

وقع في رواية الصحيح وغيره قوله ﷺ: «أمامكم حوض كما بين جرباء وأذْرُح».

وهذا فيه إشكال لأنهما قريتان متجاورتان بالشام! قال الحافظ ابن

(١) فتح الباري ١١/ ٥٧٣-٥٧٤ بتصرف.

حجر رحمه الله: «وأما مسافة الثلاث فإن الحافظ ضياء الدين المقدسي ذكر في الجزء الذي جمعه في الحوض: أن في سياق لفظها غلطاً؛ وذلك لاختصار وقع في سياقه من بعض رواته، ثم ساقه من حديث أبي هريرة وأخرجه من فوائد «عبد الكريم بن هيثم الديرعاقولي» بسند حسن إلى أبي هريرة مرفوعاً في ذكر الحوض فقال فيه: «عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح» قال الضياء: فظهر بهذا أنه وقع في حديث ابن عمر حذف تقديره: كما بين مقامي وبين جرباء وأذرح، فسقط مقامي وبين. وقال الحافظ العلائي: .. وقد ثبت القدر المحذوف عند الدارقطني وغيره بلفظ: «ما بين المدينة وجرباء وأذرح» ثم قال الحافظ: وإذا تقرر ذلك رجع جميع المختلف إلى أنه لاختلاف السير البطيء والسير السريع»[١].

---

(١) فتح الباري ١١/ ٥٧٤، وانظر: صحيح ابن حبان مع تعليق المحقق عليه ١١/ ٣٦٥.

المبحث السابع
معنى قوله: «أنا فَرَطُكُمْ على الحوض»

تواتر عن النبي ﷺ قوله: «أنا فرطكم على الحوض» ومعناه كما قال أهل العلم رحمهم الله:

قال ابن الأثير رحمه الله: «قوله: «أنا فرطكم على الحوض» أي: متقدمكم إليه، يقال: فَرَط يَفْرِط، فهو فارِطٌ، وفَرَط إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الدّلاء والأَرْشِية».

وفي اللسان: «الفارط: المتقدم السابق»(١).

قال النووي رحمه الله: «قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» قال أهل اللغة: الفَرَط بفتح الفاء والراء، والفارط هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء، فمعنى «فرطكم على الحوض»سابقكم إليه كالمهيئ له»(٢).

وفي هذا المعنى ما يدل على كمال شفقته ورحمته بأمته وحرصه عليها ما لا يخفى على أحد، فصلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) النهاية ص:٧٠١، لسان العرب ١٠/ ٢٣٣.

(٢) مسلم بشرح النووي ١٥/ ٥٣.

المبحث الثامن
ترتيب الحوض بين أهوال القيامة

اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في موضع الحوض في عرصات يوم القيامة على قولين:

أحدهما: أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، واستدل أصحاب هذا القول بما رواه أحمد والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل، قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني -أول ما تطلبني- على الصراط، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان ، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[1].

وهذا القول انتصر له بعض من صنف من أهل العلم في الحديث

---

(١) المسند ٢٠/ ٢١٠ رقم: (١٢٨٢٥)، والترمذي رقم: (٢٤٣٣)، وصححه الألباني.

والاعتقاد حيث يجعلون أحاديث الحوض ومسائله بعد أحاديث الصراط والميزان والشفاعة، ومنهم الإمام البخاري في صحيحه، والإمام الترمذي في جامعه، وابن أبي زيد في رسالته وغيرهم.

قال ابن حجر رحمه الله: «وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط، إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه».

ثم ساق حديث أنس السابق، ثم قال: «وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط بما سيأتي في بعض أحاديث هذا الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يكادوا يردون ويذهب بهم إلى النار، ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يُرد إليها؟ويمكن أن يحمل على أنهم يُقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون النار فيُدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط»[١].

قال القاضي رحمه الله: «ظاهره يدل على أن الشرب منه بعد الحساب والنجاة من النار...»[٢].

(١) فتح الباري: ١١/ ٥٦٧.

(٢) إكمال المعلم ٧/ ٢٥٧.

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: «إن الورود على هذا الحوض، والشرب منه، إنما يكون بعد النجاة من النار، وأهوال القيامة، لأن الوصول إلى ذلك المحل الشريف، والشرب منه، والوصول إلى موضع يكون فيه النبي ﷺ ولا يمنع عنه، من أعظم الإكرام، وأجل الإنعام، ومن انتهى إلى مثل هذا كيف يعاد إلى حساب، أو يذوق بعد ذلك تنكيل خزي وعذاب؟! فالقول بذلك أوهى من السراب»[١].

الثاني: أن الحوض يكون قبل الصراط، وهذا ظاهر صنيع كثير من العلماء في تأليفهم حيث يُقدمون ذكر الحوض على الصراط، **فمنهم**: من يجعله بعد الشفاعة كالإمام اللالكائي في كتاب الاعتقاد، والأشعري في الإبانة، والآجري في الشريعة، وأبو داود في سننه، وابن حزم وغيرهم، وهم يشيرون في هذا الترتيب إلى أن الخلق يَرِدون الحوض بعد طول القيام في الموقف وهم عطاشى، فيكون ورودهم مناسبًا لحالهم. والله أعلم.

ومنهم: من يجعله قبل الشفاعة وبعد القيام من القبور حيث يخرجون من قبورهم عطاشى فيردون الحوض، كابن حبان، وابن أبي عاصم، وابن ماجه، وهؤلاء لا يذكرون بعد الحوض الصراط أو

(١) المفهم ٦/ ٩١.

الميزان، **وبعضهم**: يذكر بعده الصراط والميزان كالأصبهاني في الحجة **ومنهم**: من يطلق فيجعله قبل الصراط كالقرطبي في التذكرة، وشيخ الإسلام في الواسطية، رحم الله الجميع.

قال القرطبي رحمه الله منتصراً لهذا القول: «ذهب صاحب القوت وغيره: إلى أن حوض النبي ﷺ إنما هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين، أحدهما: في الموقف قبل الصراط، والثاني: في الجنة، وكلاهما يسمى كوثرًا على ما يأتي، والكوثر في كلام العرب الخير الكثير، واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر، فقيل: الميزان قبل، وقيل: الحوض، قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل.

قلت: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم، فَيُقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم، وقال أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة: وحكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يُورد بعد الصراط وهو غلط من قائله. قال المؤلف: وهو كما قال، وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله.. » قلت: فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه فمن

جازه سلم من النار على ما يأتي، وكذا حياض الأنبياء ﷺ تكون أيضاً في الموقف على ما يأتي، وروي عن[١] ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء؟ قال: «أي والذي نفسي بيده إن فيه لماء، وإن أولياء الله تعالى ليردون حياض الأنبياء، ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء»[٢].

قال ابن حجر رحمه الله[٣] معلقًا على كلام القرطبي: «والصحيح أن للنبي حوضين...» قال: «قلت: وفيه نظر، لأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمد منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط، فإن الناس يردون الموقف عطاشى فيرد المؤمنون الحوض، وتتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال: ألا تردون؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر: «أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة»، وله شاهد من حديث ثوبان، وهو حجة على القرطبي لا له؛ لأنه قد تقدم أن الصراط

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا، وفيه من لا يعرف، وانظر: الصحيحة تحت حديث رقم: (١٥٨٩).

(٢) التذكرة ١/ ٤٥٧.

(٣) فتح الباري ١١/ ٥٦٧

جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة، وأن المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض، وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها. وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض» ثم ساق الحافظ حديث لقيط بن صبرة وهو من زيادات عبد الله بن أحمد على المسند: عن عاصم بن لقيط: «أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له: نَهِيْك بن عاصم بن مالك بن المنتفق -وفي الحديث- تعرضون عليه بادية له صفحاتكم، لا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك ﷻ بيده غرفة من ماء، فينضح قبيلكم بها، فلعمر إلهك ما تخطئ وجه أحدكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الرَّيطَةِ البيضاء، وأما الكافر فتخطمه بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم، ويفترق على إثره الصالحون، فيسلكون جسراً من النار، فيطأ أحدكم الجمر فيقول: حَسَّ، يقول ربك ﷻ: أوانه. ألا فَتَطَّلِعُونَ على حوض الرسول على أظمأ والله ناهلة عليها قط ما رأيتها...»[1] وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط». والرّيطة:

---

(١) المسند: ٢٦/ ١٢١ قال محققه: إسناده ضعيف، مسلسل بالمجاهيل، قال ابن كثير: هذا حديث غريب جداً، وألفاظه في بعضها نكارة، البداية والنهاية ٥/ ٨٢، وقال الحافظ في التهذيب ٢/ ٢٦٠ في ترجمة عاصم بن لقيط: وهو حديث غريب جداً. وانظر: الصحيحة: رقم (٢٨١٠).

كل مُـلاءة ليست بِلِفقين، وقيل: كل ثوب رقيق لين[١]، قال شارح الطحاوية: «والحوض في العرصات[٢] قبل الصراط»[٣].

(١)النهاية ص: ٣٨٨.

(٢) العرصات: جمع عرصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. النهاية ص: ٦٠٤

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص:٢٢٧.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الثاني


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

تمهيد

ثبت عن النبي ﷺ أن أناساً من أمته يُذادون عن حوضه بسبب كونهم غيّروا وبدّلوا وارتدوا بعده، فيذادون ويطردون عن حوضه الشريف.

وقد وجد بعض الناس في ألفاظ هذه النصوص ما تهواه نفوسهم، فقاموا يسيّرون الأحاديث على حسب سَيْرهم ورغبتهم ووجهتهم، وغاية مقصودهم إثبات هذا الباطل، ولو تكلّفوا لذلك الكذب على الله ورسوله ﷺ، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧].

وأما من نوّر الله بصيرته فلا يرتاب في إثبات الحوض، كما لا يرتاب في إثبات الذود المذكور، كلٌ قد قاله ﷺ على طريقة الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾، فلا يضربون نصوص الكتاب ببعضها ببعض، بل واجبهم ومقتضى إيمانهم التسليم والتصديق، بعيداً عن مجافاة الحق والبعد عنه.

وقد أشكلت أحاديث الحوض على البعض! وليس فيها - ولله

الحمد - إشكال كما سيظهر لك، كما اتخذها البعض وسيلةً وغرضاً للطعن في أصحاب محمد ﷺ!! وهؤلاء إن أرادوا الحق فهو واضح أبلج، تكفي فيه الإشارة عن العبارة، وإن يكن غير ذلك فلعل هذه الأسطر وما أقمنا فيها من دلائل تكون سبباً في قيام العقول من سباتها، وعودة الفِطر إلى ربها.

وغرضنا هنا إحقاق الحق وإزهاق الباطل، لِيَهْلِكَ من هَلك عن بينة، ويحيا من حَيَّ عن بينة، والله وحده المستعان.

المبحث الأول
في معنى الذَّوْد

قال في اللسان: «الذَّوْد: السَّوق والطرد والدفع. تقول: ذُدْتُه عن كذا، وذاده عن الشيء ذَوْداً وذِياداً، ورجل ذائد أي حامي... وذُدت الإبل أذُودها ذَوْدًا إذا طردتها وسقتها.. والذَّود للقطيع من الإبل الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر .. وقيل: من ثلاث إلى خمس عشرة، وقيل: إلى عشرين وفويق ذلك؛ وقيل ما بين الثلاث إلى الثلاثين، وقيل: ما بين الثنتين والتسع»[1].

(١) لسان العرب ٥/ ٧٠، وانظر النهاية في غريب الحديث ص: ٣٣٢، القاموس المحيط ص: ٦٢٦.

المبحث الثاني
أحاديث الذود عن الحوض

سبق أن ذكرنا أن أحاديث الحوض قد بلغت مبلغ التواتر، حيث رواها عن النبي ﷺ جمع كبير من الصحابة ﷺ، أوصلهم الحافظ ابن حجر إلى خمسين صحابياً، وذكر أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين صحابياً.

واعلم أن مسألة الذود عن الحوض لم تأتِ في جميع أحاديث الحوض، بل الأحاديث التي ورد فيها ذكر الحوض على أقسام:

الأول: أحاديث في صفة حوضه ﷺ.

الثاني: أحاديث أنه ﷺ فرطنا على الحوض.

الثالث: أحاديث فيمن يَرِد حوضه ﷺ، ومن يطرد عنه، وصفاتهم.

وسنقتصر على أحاديث القسم الثالث بعد أن بيّنا القسمين الأول والثاني.

كما سنقتصر على أحاديث الصحيحين إلا ما تدعو الحاجة إليه من غيرهما، وقد نقتصر على موضوع الشاهد من الحديث طلباً للاختصار مع ذكر غريب كل حديث بعده.

١ - عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا فَرَطُكُم على الحوض، وَلَيُرْفَعَنَّ رجال **منكم** ثم لَيُخْتَلَجُنَّ دوني، فأقول: يا ربَّ **أصحابي**؟فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[1].

وفي رواية مسلم: «ولأُنَازعَنَّ أقواماً ثم لأُغْلَبَنَّ عليهم».

٢- عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عليَّ ناس من **أصحابي** الحوض، حتى **عرفتهم** اختلجوا دوني، فأقول: **أصحابي**؟ فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» وفي رواية لمسلم: «...رجال ممن **صاحبني** حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ..» وفيها: «**أصيحابي أصيحابي**..» مصغراً مكررا[2].

قال ابن الأثير رحمه الله: «... ليختلجن دوني، أي: يُجتذبون ويُقتطعون». وأصل الخلْج: الجذب والنزع، وقال في اللسان: «الخلج الجذب... واختلجه إذا جبذه وانتزعه»[3].

---

(١) البخاري - كتاب الرقاق- رقم: (٦٥٧٦)، ومسلم -كتاب الفضائل- رقم: (٢٢٩٧).

(٢) البخاوي -كتاب الرقاق- رقم: (٦٥٨٢)، ومسلم -كتاب الفضائل- رقم (٢٣٠٤).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث ص: ٢٧٦، لسان العرب ٤/ ١٦٧، القاموس المحيط ص: ٥٠٥.

٣- عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقوام **أعرفهم ويعرفوني**، ثم يحال بيني وبينهم»(١).

٤- قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فأقول: إنهم **مني**، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن غَيَّرَ بعدي» وقال ابن عباس: فسُحقاً: بعداً، يقال: سحيقٌ: بعيدٌ، وأسحقه: أبعده.

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحدّث أن رسول الله ﷺ قال: «يرد عليَّ يوم القيامة رهط من **أصحابي** فيحلّؤن عن الحوض، فأقول: يا رب **أصحابي**؟ فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى». وفي رواية: «فَيُجْلون»(٢).

قال ابن الأثير رحمه الله: «فيحلؤن عن الحوض، أي: يُصدّون عنه ويمنعون من وروده».

---

(١) البخاري -كتاب الرقاق- رقم: (٦٥٨٣، ٦٥٨٤)، ومسلم -كتاب الفضائل- رقم (٢٢٩١).

(٢) البخاري -كتاب الرقائق- رقم: (٦٥٨٥، ٦٥٨٦).

وقال في اللسان: «حَلأَ الإبل والماشية عن الماء تَحْلِيئاً وتحلئةً: طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده، وفي الحديث: «فيحلّئون عن الحوض» أي: يصدُّون عنه، ويمنعون من وروده».

«**الرهط**: من الرجال: ما دون العشرة قيل: ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، وقيل: إلى الأربعين، ولا تكون فيهم امرأة»[١].

قال ابن الأثير رحمه الله: «القهقرى: هو المشي إلى الخلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه».

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا **عرفتهم** خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هَلُم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أُراه يخلص **منهم إلا مثل هَمَلِ النّعَم**»[٢].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ص: ٢٢٤، ٧٨٠، لسان العرب ٣/ ٢٧٤، ٥/ ٣٤٣، القاموس المحيط ص: ٧١١، المفردات ص: ٢١٠.

(٢)البخاري -كتاب الرقاق- رقم: (٦٥٨٧).

قال في اللسان: «الزمرة: الفوج من الناس والجماعة من الناس، وقيل: الجماعة في تفرقة. والزمر: الجماعات».

وقال الراغب: «زمرة، وهي: الجماعة القليلة، ومنه قيل: شاة زَمِرة قليلة الشعر».

(هَمل النَّعَم) قال ابن الأثير: «قوله: «فلا يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم» الهمل: ضوالّ الإبل، واحدها: هامل، أي: أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالة»(١).

٧- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال النبي ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يَرِد عليَّ **منكم**، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب **مني** ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ماعملوا بعدك؟! والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم»(٢).

٨- عن عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وهو بين ظَهْراني أصحابه: «إني على الحوض أنتظر من يرد علي **منكم**، فوالله

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ص: ١٠١٢، المفردات ص: ٢٢٠، اللسان ٦/ ٨٠، القاموس ص: ٧٥٥، ١٨٢٤.

(٢) البخاري -كتاب الرقاق- رقم: (٦٥٩٣)، ومسلم -كتاب الفضائل- رقم: (٢٢٩٣).

لَيُقتطَعَنَّ دوني رجال، فلأقولن: أي ربِّ **مني** ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم»[١].

٩- عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ: يقول: «إني لكم فرط على الحوض فَإِيَّايَ لا يأتينَّ **أحدكم** فيذبُّ عنّي كما يُذب البعير الضال، فأقول: فيم هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً»[٢].

١٠- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «...وإن أناساً من **أصحابي** يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: **أصحابي أصحابي**، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡ ﴾ [المائدة:١١٧] إلى قوله: ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾».

وفي رواية: «... ثم يؤخذ برجال من **أصحابي** ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: **أصحابي**...».

قال محمد بن يوسف: ذُكِر عن أبي عبد الله، عن قبيصة قال: هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه.

(١) مسلم -كتاب الفضائل- رقم: (٢٢٩٤).

(٢) مسلم -كتاب الفضائل- رقم: (٢٢٩٥).

وفي رواية: «... برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب **أصيحابي**...»[١].

(١) البخاري -كتاب أحاديث الأنبياء- رقم: (٣٣٤٩) وأطرفه في رقم: (٣٤٤٧، ٤٦٢٥).

المبحث الثالث

إيضاح معنى الذود في أحاديث الحوض

هذه هي الأحاديث التي يستدل بها الطاعنون في خيار الأمة وأكابرها، صحابة رسول الله ﷺ، مدنّسين - بجهل أو سوء فهم - خير قرن طلع على البشرية، مسقطين بهذه العقيدة بنيان الأمة وتاريخها المشرق من عهد رسول الله ﷺ إلى آخر الدهر، متناسين كل عز ومجد تحقق للأمة على أيديهم، وهذا القول وما فيه من فساد يفوق الحصر والتعداد، وسوف نبين الحق بإذن الله تعالى، مستعينين به سبحانه، ثم بأقوال أهل العلم، طالبين للحق والعدل مبتعدين عن رد الباطل بالباطل، فالعدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال، والظلم محرم مطلقاً لا يباح قط بحال.

وقد أبان أهل العلم -رحمهم الله- المعنى المراد من الذود في أحاديث الحوض، وسوف نسوق من أقوالهم ما يُظهر المقصود ويعيّن المطرود، طالبين العون من الله وحده عز وجل، سائلين الله تعالى أن نتحلى بروح علمية متجردة للحق، ساعية إليه، تصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين.

أقوال أهل العلم في معنى الذود عن الحوض:

قال الإمام النووي ﷺ: «هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

أحدها: أن المراد به **المنافقون والمرتدون**، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل[1] فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي: لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

والثاني: أن المراد **من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده**، فيناديهم النبي ﷺ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء؛ لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

والثالث: أن المراد به **أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام.**

---

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ترد عَلَيَّ أمتي الحوض،وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله ،قالوا : يا نبي الله أتعرفنا ؟قال : نعم ، لكم سيما ليست لأحد غيركم، تردون عليّ غرّاً محجلين من آثار الوضوء، وَلَيُصدَّنَّ عني طائفة منكم فلا يصلون، فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟». رواه مسلم كتاب الطهارة برقم: (٢٤٦- ٢٤٩).

وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله ﷻ ويدخلهم الجنة بغير عذاب[١]، قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده لكن عرفهم بالسيما.

وقال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر: «**كل من أحدث في الدين** فهو من المطرودين عن الحوض **كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء**. قال: **وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر**. قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر، والله أعلم»[٢].

وقال القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا -رحمة الله عليهم أجمعين-: **فكل من ارتد عن دين الله**، أو **أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله**، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم **طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم؛ الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها**، فهؤلاء كلهم مبدّلون،

---

(١) وهذا بناء على عقيدة أهل الحق أنهم لا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر. الواسطية ص:٣٢.

(٢) مسلم بشرح النووي ٣/ ١٣٦-١٣٧.

وكذلك الظلمة المسرفون في الجور و تطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفّون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال، ولم يكن في العقائد؛ وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال: سُحقاً، وإن كانوا من **المنافقين** الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر. ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سُحقاً سُحقاً، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذب بعطش والله أعلم.

وروى الترمذي[1] عن كعب بن عجرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أعيذك بالله يا كعب بن عجرة! من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابهم، فصدَّقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم؛ فليس مني ولست منه ولا يرد عليَّ الحوض، ومن غشي أبوابهم، أو لم يغش، فلم يصدِّقهم

(١) الترمذي رقم: (٦١٤)، والنسائي رقم: (٤٢١٨)، وأحمد رقم: (١٨١٢٦)، وصححه الألباني.

في كذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم؛فهو مني، وأنا منه، وسيرد عليَّ الحوض.....»»[١].

وقال ابن هبيرة رحمه الله: «ولا أرى هذا يرجع إلا للذين **ارتدوا بعد موت النبي ﷺ ومنعوا الزكاة**، فقاتلهم الصدّيق على ذلك إلى **الخوارج** الذين رأوا تكفير الصحابة كعثمان وعلي رضي الله عنهما، وهم أهل النهروان ومن شابههم وتابعهم»[٢].

وقال أيضًا: «هذا الحديث لا ينصرف إلا إلى من **ارتد عن الإسلام بعد رسول الله ﷺ كالذين منعوا الزكاة جحداً لوجوبها**. وهذا مما يدل على أن ردتهم كانت بعد رسول الله ﷺ؛ لأنه ﷺ تركهم على ما تركهم عليه، فلذلك قال: «أصحابي» حتى اختلجوا دونه. فقيل له: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، ولا يؤثر في هذا التأويل ما روي عنه ﷺ أنه قال: «تعرض عليَّ أعمال أمتي» إذ هؤلاء بالردة خرجوا عن أن يكونوا من أمته»[٣].

قال عياض رحمه الله: «قوله في رواية أنس: «رجال ممن صاحبني» يدل

---

(١) التذكرة ١/ ٤٦٤- ٤٦٥.

(٢) الإفصاح ٧/ ٢٠١-٢٠٢.

(٣) الإفصاح ٢/ ٢١١.

على صحة تأويل من تأول أنهم **أهل الردة**، ولذلك قال عليه السلام فيهم: «سحقاً سحقاً»: والنبي عليه السلام لا يقول ذلك في مذنبي أمته، بل يشفع لهم ويهتم بأمرهم، ويضرع إلى الله تعالى في رحمتهم والعفو عنهم. وقيل: بل هم صنفان: منهم **العصاة المرتدون عن الاستقامة، المبدلون عملهم الصالح بغيره**، ومنهم **المرتدون على أعقابهم بالكفر**، واسم التبديل يشملهم كلهم»» (١).

قال ابن حجر رحمه الله: «قال الفربري: ذُكر عن أبي عبد الله البخاري عن قبيصة قال: هم الذين **ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر**، يعني حتى قتلوا وماتوا على الكفر. وقد وصله الإسماعيلي من وجه آخر عن قبيصة. وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد، وإنما **ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين**، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين. ويدل قوله: «أصيحابي» بالتصغير على قلة عددهم. وقال غيره: قيل: هو على ظاهره من الكفر، والمراد «بأمتي» أمة الدعوة لا أمة الإجابة. ورُجح بقوله في حديث أبي هريرة: «فأقول: بعداً لهم وسحقاً»، ويؤيده كونهم خفي عليه حالهم، ولو كانوا من أمة الإجابة لعرف حالهم بكون أعمالهم تعرض عليه. وهذا يردّه قوله في

(١) إكمال المعلم: ٢/ ٥١، ٧/ ٢٦٩.

حديث أنس: «حتى إذا عرفتهم» وكذا في حديث أبي هريرة. وقال ابن التين: **يحتمل أن يكونوا منافقين، أو من مرتكبي الكبائر.وقيل هم: قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة.**

وقال الداودي: **لا يمتنع دخول أصحاب الكبائر والبدع في ذلك**» ثم ذكر ابن حجر قول النووي السابق وقال: «ورجّح عياض والباجي وغيرهما ما قال قبيصة راوي الخبر أنهم من **ارتد بعده** ﷺ، ولا يلزم من معرفته لهم أن يكون عليهم السيما؛ لأنها كرامة يظهر بها عمل المسلم، والمرتد قد حبط عمله فقد يكون عرفهم بأعينهم لا بصفاتهم باعتبار ما كانوا عليه قبل ارتدادهم، ولا يبعد أن يدخل في ذلك أيضا **من كان في زمنه من المنافقين**، وسيأتي في حديث الشفاعة: «وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها»[1]. فدل على أنهم يحشرون مع المؤمنين فيعرف أعيانهم ولو لم يكن لهم تلك السيما، فمن عرف صورته ناداه مستصحباً لحاله التي فارقه عليها في الدنيا، وأما دخول أصحاب البدع في ذلك فاستبعد لتعبيره في الخبر بقوله: «أصحابي» وأصحاب البدع إنما حَدَثوا بعده، وأجيب بحمل الصحبة على المعنى الأعم، واستبعد أيضاً أنه لا يقال

(١) البخاري -كتاب الأذان- رقم: (٨٠٦)، ومسلم -كتاب الإيمان- برقم: (١٨٢).

للمسلم ولو كان مبتدعاً: سحقاً(١)، وأجيب بأنه لا يمتنع أن يقال ذلك لمن علم أنه قضي عليه بالتعذيب على معصية ثم ينجو بالشفاعة، فيكون قوله: «سحقاً» تسليماً لأمر الله مع بقاء الرجاء، وكذا القول في أصحاب الكبائر. وقال البيضاوي: ليس قوله: «مرتدين» نصاً في كونهم **ارتدوا عن الإسلام**، بل يحتمل ذلك، ويحتمل أن يراد أنهم **عصاة المؤمنين المرتدون عن الاستقامة يبدلون الأعمال الصالحة بالسيئة**. انتهى.

وقد أخرج أبو يعلى(٢) بسند حسن عن أبي سعيد: سمعت رسول الله ﷺ فذكر حديثاً فقال: «يا أيها الناس إني فرطكم على الحوض، فإذا جئتم قال رجل: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولعلكم أحدثتم بعدي وارتددتم» ولأحمد والبزار نحوه من حديث جابر»(٣).

---

(١) إدخال أهل البدع في المعنيين بالذود ليس لقوله ﷺ: (أصحابي) ولكن لقوله: (أحدثوا بعدك)، ولدخول عموم أمته في معنى الحديث، لقوله ﷺ: (أمتي...) قال ابن الأثير في النهاية ص: ١٩٢: (الحدث: هو الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنة والمحُدَث: هو الأمر المبتدع نفسه ومنه الحديث: (إياكم ومحدثات الأمور)، جمع مُحْدَثة -بالفتح-: وهو ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع) وبالله التوفيق.

(٢) أبو يعلى رقم: (١٢٣٣)، والطيالسي رقم: (٢٣٣٥)، وأحمد رقم: (١١١٣٨)، وقال محققه: صحيح لغيره.

(٣) فتح الباري ١١/ ٤٦٨-٤٦٩.

قال العيني رحمه الله: «قال الكرماني: وهم إما **المرتدون** وإما **العصاة**»[١].

وقال العيني رحمه الله: «قوله: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»أي: لا يخلص منهم من النار إلا قليل، وهذا يشعر بأنهم صنفان: **كفار وعصاة**»[٢].

وقال الشاطبي رحمه الله عن حديث: «فليذادن رجال عن حوضي...»: «حمله جماعة من العلماء على أنهم **أهل البدع**، وحمله آخرون على **المرتدين عن الإسلام**.

والذي يدل على الأول ما خرجه خيثمة بن سليمان عن يزيد الرقاشي؛ قال: سألت أنس بن مالك، فقلت: إن هاهنا قوماً يشهدون علينا بالكفر والشرك، ويكذبون بالحوض والشفاعة، فهل سمعت من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً؟ قال: نعم؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة؛ فإذا تركها فقد أشرك، وحوضي كما بين أيلة إلى مكة... وسيرده أقوام ذابلة شفاههم، فلا يطعمون منه قطرة واحدة، من كذّب به اليوم لم يصب منه الشراب

(١) عمدة القاري ٢٣/ ٢٠٦.

(٢) عمدة القاري ٢٣/ ٢١٤.

يومئذ» فهذا الحديث يدل على أنهم من أهل القبلة، فنسبتهم أهل الإسلام إلى الكفر من أوصاف الخوارج، والتكذيب بالحوض من أوصاف أهل الاعتزال وغيرهم.

مع ما في حديث (الموطأ) من قول النبي ﷺ: «ألا هلمّ»[1]؛ لأنه عرفهم بالغرة والتحجيل الذي جعله من خصائص أمته، وإلا فلو لم يكونوا من الأمة؛ لم يعرفهم بالعلامة المذكورة» ثم ساق الشاطبي حديث ابن عباس السابق والذي فيه «فيقال: هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» وقال: «ويحتمل هذا الحديث أن يراد به **أهل البدع**؛كحديث (الموطأ) ويحتمل أن يراد به من **ارتد بعد النبي** ﷺ»[2] انتهى.

وقال ابن العربي في شرحه للحديث السابق «... فإن قيل: فكيف يكون عليهم نور الوضوء ثم يقال لهم: فسحقاً. قيل: فيه وجهان؛ أحدهما: أنهم يبعدون في حال ويقربون بعد المغفرة في آخر، هذا إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد. وقيل: هم **المنافقون** كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيؤتى كل واحد منهم نوراً حتى يظن

(١) الموطأ -كتاب الطهارة- رقم: (٦٢) وهو صحيح، ومسلم رقم: (٢٤٩).
(٢) الاعتصام ١/ ٩٦ - ٩٨.

أنه على شيء ثم يكشف له الغطاء». وقال: «وقوله: «فليذادن رجال عن حوضي». معجزة؛ لأنه خبر عن معنيين، أحدهما: ما وقع من التبديل في الناس بعد موته ﷺ، والثاني: ما يكون من الحكم يوم القيامة مما لم يعلمه أحد غيره»[1].

وقال الزرقاني رحمه الله: «قال الباجي: يحتمل أن **المنافقين والمرتدين** وكل من توضأ يحشر بالغرة والتحجيل فلأجلها دعاهم، ولو لم تكن السيما إلا للمؤمنين لما دعاهم ولما ظن أنهم منهم، ويحتمل أن يكون ذلك **لمن رأى النبي ﷺ فبدل بعده وارتد**، فدعاهم النبي ﷺ لعلمه بهم أيام حياته وإظهارهم الإسلام وإن لم تكن لهم يومئذ غرة ولا تحجيل، ولكن لكونهم عنده في حياته وصحبته باسم الإسلام وظاهره قال عياض، والأول أظهر؛ فقد ورد أن المنافقين يعطون نوراً ويطفأ عند الحاجة، فكما جعل الله لهم نوراً بظاهر إيمانهم ليغتروا به حتى يطفأ عند حاجتهم على الصراط، كذلك لا يبعد أن يكون لهم غرة وتحجيل حتى يذادوا عند حاجتهم إلى الورود نكالاً من الله ومكراً بهم.

وقال الداودي: ليس في هذا ما يحتم للمذادين بدخول النار فيحتمل أن يذادوا وقتاً فتلحقهم شدّة، ويقول لهم: سحقاً، ثم يتلافاهم

---

(١) القبس ١/ ١٢٧.

الله برحمته، ويشفع فيهم النبي ﷺ.

قال عياض والباجي: وكأنه جعلهم من **أهل الكبائر من المؤمنين**. زاد عياض: أو من **بدّل ببدعة لا تخرجه عن الإسلام**. قال غيره: وعلى هذا لا يبعد أن يكونوا أهل غرة وتحجيل؛ لكونهم من جملة المؤمنين»[(١)].

هذه هي أقوال أهل العلم في معنى الذود عن الحوض والمعنيين بالذود.

وخلاصة أقوالهم هي:

١ - أنهم المنافقون الذين كانوا في عهده ﷺ يتظاهرون بالإسلام.

٢- أنهم من ارتد بعد موته ﷺ ممن كان في زمنه، فقاتلهم الصدّيق رضي الله عنه وماتوا على الكفر.

٣- أنهم أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد.

٤- أنهم أصحاب البدع والأهواء الذين لم يخرجوا ببدعهم عن الإسلام، أو الذين خرجوا ببدعهم عن الإسلام.

٥- أنهم الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم، المعلنون بها من الأمراء والولاة ومن أعانهم على ظلمهم،

---

(١) شرح الزرقاني ١/ ٩٧- ٩٨.

وهم وإن كانوا يدخلون في مطلق أصحاب الكبائر والمعاصي، إلا أن الحديث - كما سبق - جاء بتخصيص هذا الصنف؛ لعظيم شره على عموم الأمة. والله أعلم.

٦- أنهم المنافقون والمرتدون من أمته ﷺ في كل زمان.

٧- أنهم من أهل الكفر كما سيأتي.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الذود عن الحوض ذودان:

الأول: ذود عام: يشمل جميع الناس من غير أمة محمد ﷺ، وهذا الذود للناس من غير أمته ﷺ إرشاداً أن يذهبوا إلى حياض أنبيائهم، قال ﷺ: «وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه»[1] قال ابن حجر رحمه الله: «والحكمة من الذود المذكور: أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم أن لكل نبي حوضاً، وأنهم يتباهون بكثرة من تبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه ﷺ، ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والعلم عند الله تعالى»[2].

الثاني: ذود خاص: لأناس من أمة محمد ﷺ على ما جاءت به ألفاظ

---

(١) سبق قبل قليل.

(٢) فتح الباري ١١/ ٥٧٧.

الأحاديث السابقة، كقوله ﷺ: «مني ومن أمتي...» وغيرها. والله أعلم.

ولا يمتنع -والله أعلم- دخول الجميع فيمن يذاد عن الحوض، فالنصوص الواردة وإن كان عامتها جاءت بلفظ: (أصحابي) أو: (منكم) فلا يلزم منها تخصيص ذلك بزمنه ﷺ كما قرره أهل العلم، بل يشمل أمته إلى قيام الساعة؛ وذلك لدلالة بعض النصوص كما سبق في كلام أهل العلم.

المبحث الرابع

الألفاظ التي يتمسك بها الطاعنون

مر بك في أحاديث الحوض بعض الألفاظ التي وجد فيها الطاعنون وأصحاب الأهواء بغيتهم للطعن في أصحاب النبي ﷺ، فجردوا ألسنتهم بين قولٍ صريحٍ ولمز خفي، ولو كان الأمر وفق منهج علمي لهان الأمر على بشاعته! ولقلنا: إن صاحبه مجتهد مصيب أو مخطئ معذور! فإذا بنا نقف أمام مصادرة العقل والتاريخ، واحتراف الطعن بالظنون والتخرصات، والله الموعد.

وإليك هذه الألفاظ:

(منكم - أصحابي - أصيحابي - ممن صاحبني - عرفتهم - أعرفهم ويعرفوني - مني - أحدكم - فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النَّعَم).

هذه هي غالب الألفاظ التي تمسك بها الطاعنون وطاروا بها كل مطار، وهي - ولله الحمد - ليس فيها أي مستمسك لهم، وسيتبين لك المراد منها بما هو أبعد ما يكون عن مراد الطاعنين، وبعدها سيكون هؤلاء بين خيارين لا ثالث لهما:

إما الرجوع إلى الحق وهو أولى من التمادي في الباطل، والتسليم للأدلة الشرعية والعقلية، وهنا يكونون قد وضعوا الحق نصابه، وأقرّوه في إهابه، وأتوا الأمر الأرشد من بابه.

أو البقاء في دوامة التصادم بين تراثهم الكاسد، وبين ما يتلونه من نصوص الوحيين، وما هو مسطور من تاريخ الصحابة ﵃ الحافل، وآثارهم الباقية في البلاد وعلى العباد بقاء الأرض بأهلها! واجتماع الضدين في حقهم -المدح والذم- ممتنع لذاته!! بعد تزكية الله تعالى وتزكية رسوله ﷺ لهم، وإجماع الأمة على ذلك.

أولاً: لفظة: **(أصحابي - أصيحابي - ممن صاحبني)**.

الصحبة: اسم جنس ليس لها حدّ في الشرع، ولا في اللغة، والعرف فيها مختلف.

وقد قيل في حد الصحبة أقوال، ولكن الذي دل عليه الدليل منها هو: من لقي الرسول ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، سواء أطال اللقاء أو قصر، وهذا هو قول جمهور العلماء[1].

---

(١) النكت ص: ١٤٩، الباعث الحثيث ص: ١٦٩، تدريب الراوي ٢/ ٦٦٧، منهاج السنة ٨/ ٣٨٣.

والنبي ﷺ لم يقيد الصحبة بقيد ولا قدّرها بقدر، بل علّق الحكم بمطلقها، ولا مطلق لها إلا الرؤية، وهو صريح قوله ﷺ: «طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني...»(١) الحديث.

فعلق ﷺ الصحبة بالرؤية، ومعلوم أن صحابته منهم من صحبه المدة الطويلة، ومنهم من صحبه المدة القصيرة.

وقد تطلق الصحبة ويراد بها المصاحبة اللغوية والتي بمعنى: المعاشرة والملازمة والمرافقة، وليس فيها اشتراط طول المدة أو قصرها(٢). وهذا كثير في كلام الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ولغة العرب.

فمن القرآن:

قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:٢٢] ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥] وغيرها كثير، وهذا شامل لكل مصاحبة طالت أو قصرت.

وكقوله تعالى: ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء:٤٧] فسماهم الله

---

(١) الحاكم رقم (٦٩٩٤)، وانظر: الصحيحة رقم: (١٢٥٤).

(٢) لسان العرب ٧/ ٢٨٦، القاموس ص: ٩٦٤.

تعالى أصحاب السبت؛ لأنهم فعلوا هذا المنكر في يوم السبت، وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ [العنكبوت:١٥]، وهم قد أقاموا فيها مدة سفرهم فقط.

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ ﴾ [الكهف:٣٤] فسمّاه صاحباً مع الاختلاف في الدين الموجب للعداوة، ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ﴾ [يوسف:٣٩].

ومن السُنّة:

قول الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ في حديث الهجرة: «الصحابة بأبي أنت يا رسول الله»[١]. قال ابن حجر رحمه الله: «أي: أريد المصاحبة».

وقول النبي ﷺ: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمِّ الخياط»[٢]. قال النووي رحمه الله: «قوله ﷺ: «في أصحابي» فمعناه: الذين ينسبون إلى صحبتي كما قال في الرواية الثانية: «في أمتي»».

---

(١) البخاري - كتاب مناقب الأنصار - رقم: (٣٩٠٥)، وانظر: فتح الباري ٧/ ٢٩٤.

(٢) مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم- رقم: (٢٧٧٩)، وانظر: شرح مسلم للنووي ١٧/ ١٢٤.

وقوله ﷺ: «... ألا أخبركم بأشدَّ حراً منه يوم القيامة هذَينِك الرجلين الراكبين المُقفِّيَنِ لرجلين حينئذ من أصحابه»[1] قال النووي رحمه الله: «سماهما من أصحابه؛ لإظهارهما الإسلام والصحبة، لا أنهما ممن نالته فضيلة الصحبة».

ولهذا لا يختلف الناس في أن النبي ﷺ رأى المنافقين ورأوه، وعرفهم وعرفوه، واجتمع بهم واجتمعوا به، وعرف أعيانهم وأنسابهم، وكانت صحبتهم له صحبة لغوية بمعنى: المعاشرة والمرافقة ورؤية فقط بدون قصد الإيمان والاتباع، وهو أمر تعرفه العرب من لسانها كما مر بك.

وهذا ما يرجح أنهم أهل الردة مع ما يأتي من أحاديث، وهؤلاء لا يدخلون في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة وحقيقتها الشرعية، ولهذا قال الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أراد قتل عبد الله بن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين: «دَعْهُ؛ لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[2]. قال ابن حجر رحمه الله: «أي: أتباعه». وقال

(١) مسلم - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم- رقم: (٢٧٨٣)، وانظر: شرح مسلم للنووي ١٧/ ١٢٨، وإكمال المعلم ٨/ ٣١٣.

(٢) البخاري -كتاب التفسير- رقم: (٤٩٠٥-٤٩٠٧)، ومسلم -كتاب البر والصلة- رقم: (٢٥٨٤).

النووي رحمه الله: «لأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ»(١). ولم يقل أحد أن ابن سلول من الصحابة أبداً!

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «معلوم أن لفظ: (الصاحب) في اللغة يتناول من صحب غيره، ليس فيه دلالة بمجرد هذا اللفظ على أنه وليّه أوعدوه، أو مؤمن أو كافر، إلا لما يقترن به.

وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النساء:٣٦]، وهو يتناول الرفيق في السفر والزوجة، وليس فيه دلالة على إيمان أو كفر. وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾ [النجم]، وقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ ﴾ [التكوير:٢٢] المراد به محمد ﷺ لكونه صحب البشر، فإنه إذا كان قد صحبهم كان بينه وبينهم من المشاركة ما يمكنهم أن ينقلوا عنه ما جاء من وحي، وما يسمعون به كلامه، ويفقهون معانيه، بخلاف المَلَك الذي لم يصحبهم، فإنه لا يمكنهم الأخذ عنه.. وهذا بخلاف إضافة الصحبة إليه، كقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠]، وقول النبي ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي...» فإن إضافة الصحبة إليه في خطابه وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاة له، وذلك لا يكون إلا بالإيمان به..».

---

(١) النووي شرح مسلم ١٦/ ١٣٩، فتح الباري ٨/ ٨٢٨.

وقال أيضاً: «الصحبة فيها عموم وخصوص، فيقال: صحبه ساعةً ويوماً وجمعةً وشهراً وسنةً، وصحبه عمره كله. وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾ [النساء: ٣٦].

قيل: هو الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وكلاهما تقلّ صحبته وتكثر. وقد سمّى الله الزوجة صاحبة في قوله: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام:١٠١].

ولا ريب أن مجرد رؤية الإنسان لغيره لا توجب أن يقال: قد صحبه، ولكن إذا رآه على وجه الاتباع له والاقتداء به دون غيره، والاختصاص به...»(١).

وعلى هذا فيحمل قوله ﷺ في أحاديث الحوض:

«أصحابي، ممن صاحبني» على هذا المعنى اللغوي العام الذي مر بك معناه، ولأن حمله على معنى الصحبة الشرعية هدم للدين من أركانه بلا دليل!! أما لفظة: (أصيحابي) مصغراً، فتدل على القلة كما هو معلوم، وعليه فهو دليل على قلة من يذاد كما سيأتي.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ٣٨٢ - ٣٨٨، ٤٧٠ بتصرف.

ثانياً: لفظة: «**أعرفهم - يعرفوني - عرفتهم**»:

أما لفظة: «أعرفهم ويعرفوني» فقد جاء ما يوضح هذه المعرفة وأنها قد تكون معرفة **أوصاف** أو **معرفة أعيان**. فمن الأول قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم: «تَرِد عليَّ أمتي الحوض، وأنا أذودُ الناس عنه، كما يذودُ الرجلُ إبلَ الرجل عن إبلهِ، قالوا: يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون عليَّ غراً محجلين من آثار الوضوء»[1] وسيما الوضوء ليست خاصة بالصحابة، بل هي عامة في جميع أمته ﷺ ممن تلبس بهذه الصفة المباركة.

ومن الثاني: قوله ﷺ في حديث أبي سعيد رضي الله عنه: «ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه، بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض، فإذا جئتم قال رجلٌ: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر: أنا فلان بن فلان، قال لهم: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدي، وارتددتم القهقرى»[2].

---

(١) مسلم - كتاب الطهارة - رقم: (٢٤٧).

(٢) أحمد ١٧/ ٢١٩، والطيالسي رقم: (٢٣٣٥) وأبو يعلى رقم: (١٢٣٣) وغيرهم، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

فالنبي ﷺ يعرف أمته ويعرفونه بآثار الوضوء من الغرة والتحجيل، وهي سيما ليست لأحدٍ من الأمم إلا أمته ﷺ، ولهذا قال: «أعرفهم ويعرفوني»، وقوله: «هل شعرت ما عملوا بعدك» فيه إشارة إلى أنه لم يعرف أشخاصهم بأعيانها، وإن كان قد عرف أنهم من هذه الأمة بالعلامة، كما قال الحافظ ابن حجر.

وقد تكون معرفة عين حيث يعرف أعيانهم وأنسابهم كما تقدم، وهذا قد يقوي قول من جعلهم أهل الردة بعده ﷺ الذين قاتلهم صدّيق الأمة رضي الله عنه، حيث خاطبوه بما يعرف من ظاهر أمرهم، وما تركهم عليه قبل موته.

والخلاصة: أن هذا اللفظ ليس فيه أي مستمسك على الصحابة رضي الله عنهم وأن أمته ﷺ جميعها داخلة في هذه الأحاديث. والله الموفق.

ثالثاً: لفظة: (مني، منكم، أحدكم):

قوله ﷺ: «وليُرفَعَنَّ رجال منكم»، وقوله: «فأقول: يا رب مني ومَن أمتي».

فهذه الألفاظ فيها دليل صريح على أن المقصود بهم عموم أمته، وليس أهل وقته وصحابته فقط؛ حيث قال: «مني ومن أمتي». والمقصود بهم عموم أمته، وفيهم المنافقون كما جاء في الحديث: «.. يحشر

الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها»[١].

قال النووي رحمه الله: «قال بعض العلماء: هؤلاء هم المطرودون عن الحوض الذين يقال لهم سحقاً سحقاً، والله أعلم»[٢].

وحديث النبي ﷺ يصدّق بعضه بعضاً، فتحمل هذه الألفاظ على ما سبق في قوله ﷺ: «أعرفهم...» و«أصحابي...» أنها معرفة أوصاف كونهم من أمته فعرفهم بسيماهم من الغرة والتحجيل، أو معرفة أعيان بأسمائهم وأعيانهم التي صاحبهم عليها في الدنيا وفارقهم عليها.

أما قوله: «فَإِيَّاي لا يأتين أحدكم فيذب عني...» فجاءت في سياق تحذير منه ﷺ لصحابته مرهباً لهم من الانتكاس، ومُرغباً لهم في الثبات على دينهم الذي سيفارقهم عليه، وهذا من كمال حبه وشفقته عليهم، والخطاب وإن كان لصحابته فهو عام للأمة كلها، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) البخاري -كتاب الصلاة- رقم: (٨٠٦) ومسلم -كتاب الإيمان- رقم: (١٨٢).

(٢) مسلم بشرح النووي ٣/ ١٩.

وهذا الأسلوب شائع في خطاب الشارع الحكيم، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا، فلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى»(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «النهي عن الشيء لا يدل على وقوعه، بل يدل على أنه ممنوع منه، لئلا يقع فيما بعد - ثم ساق الآية السابقة وقال - فهذا لا يدل على أنه كان يطيعهم»(٢).

وقل مثل هذا الكلام في خطاب الرسول ﷺ لصحابته في أحاديث الحوض! ومثله قوله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات...»(٣)، وحديث: «إياكم والدخول على النساء...»(٤)، وغيرها الكثير؛ مما يدل على شفقته ﷺ على أمته في تحذيرها من هذه الأمور، كما حذرها الدّجال

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٦١٤.

(٢) منهاج السنة النبوية ٨/ ٤٥٧.

(٣) البخاري -كتاب المظالم والغصب- رقم: (٢٤٦٥)، ومسلم -كتاب اللباس والزينة- رقم: (٢١٢١).

(٤) البخاري -كتاب النكاح- رقم: (٥٢٣٢)، ومسلم -كتاب السلام- رقم: (٢١٧٢).

والفتن، مصداق قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة ١٢٨].

فهل يلزم من التحذير الوقوع في المحذور؟! وهل يلزم من النهي عن الشيء وقوعه؟! إنما هو من تمام التبليغ للرسالة والشفقة والرحمة بالأمة.

رابعاً: قوله ﷺ: «**فَلا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إلاّ مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**»:

الهَمَل من النعم: هي الإبل بلا راع، وهي الضوال، والمقصود به كما قال ابن حجر رحمه الله: «يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه... والمعنى: أنه لا يرده منهم إلا القليل، لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره»[1].

والحديث كما مر معك فيه ذكر زمرتين لا يخلص منهم إلا مثل همل النعم، والمعنى: أن من يذاد عن الحوض ويطرد عنه لا ينجو منهم إلا مثل: (همل النعم). فإذا علمنا أن من يطرد عنه قليل بالنسبة لمن يرده وهم الأكثر، علمنا أنه لا مستمسك فيه ألبتة للطاعنين! وخاصة أنه مر

(١) فتح الباري ١١/ ٥٧٨.

معـك في ألفـاظ أحاديـث الحـوض قولـه ﷺ: (زمـرة) و (رهـط) و(أصيحابي) و (البعير الضال) وكلها تدل على القلة مع ما يحويه لفظ: (الذود) من قلة كذلك، وفي هذا الحديث قال: (زمرة).

والزمرة: الجماعة القليلة، ومنه قيل: شاة زمرة؛ قليلة الشعر.

والرهط: من ثلاثة أو سبعة إلى العشرة أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة.

والذود: من ثلاث إلى عشر، أو ما بين الثنتين والتسع.

والنبي ﷺ خاطب الناس بما يفهمونه من الخطاب، ولم يكن يريد في كلامه إلا حقيقة ما أبلغه لهم من الكلام، فلا يقول قائل: إن النبي ﷺ لم يُرِد حقيقة هذه الألفاظ! فإن هذا طعن في تبليغه لشريعة ربه تعالى، وهذا مدخل من مداخل الزندقة، ورد للحق بدون برهان ودليل.

قال ابن قتيبة: وهو يَرُد على أصحاب هذا القول مؤيداً ما ذهبنا إليه: «إنهم لو تدبروا الحديث، وفهموا ألفاظه، لاستدلوا على أنه لم يرد بذلك إلا القليل.

يدل على ذلك قوله: «ليردن عليَّ الحوض أقوام» ولو كان أرادهم جميعاً إلا من ذكروا - سيأتي معك من هؤلاء الذين لم يرتدوا - لقال:

(لتردن عليَّ الحوض، ثم لتختلجن دوني) ألا ترى أن القائل إذا قال: (أتاني اليوم أقوام من بني تميم، وأقوام من أهل الكوفة) فإنما يريد قليلاً من كثير! ولو أراد أنهم أتوه إلا نفراً يسيراً قال: (أتاني بنو تميم، وأتاني أهل الكوفة) ولم يجز أن يقول: (قوم) لأن القوم هم الذين تخلّفوا. ويدلك أيضًا قوله: «يا رب أصيحابي» بالتصغير، وإنما يريد بذلك تقليل العدد، كما تقول: (مررت بأبيات متفرقة) و(مررت بجُميّعة).

ونحن نعلم أنه قد كان يشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد، ويحضر معه المغازي المنافق لطلب المغنم، والرقيق الدين، والمرتاب، والشاك.

وقد ارتد بعده أقوام... وأما جميع الصحابة - إلا الستة الذين ذكروا - فكيف يختلجون؟»[1]

وخلاصة القول: إن من يذاد عن الحوض قليل كما جاء في الأحاديث عنه ﷺ، ومن ينجو من هذا القليل مثل: (همل النعم)، فيقلُّونَ على هذا أكثر، والله أعلم.

ملحوظة:

جاء في هذا الحديث قوله ﷺ: (منهم)، ولم يقل: (منكم) كما حاول

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص: ٢١٧ - ٢١٨ بتصرف.

التلبيس به البعض(١)! وفيه دليل على أن المَعْنِيّ بهم غير الصحابة ﷺ، فتأمل.

وهذا الحديث من بين أحاديث الحوض ليس فيه أي إشارة إلى الصحابة ﷺ من قريب أو بعيد، على كثرة ما يستدل به أهل الأهواء! غاية ما فيه قوله: «حتى إذا عرفتهم» وقد بينّا هذه المعرفة، وقوله: «ارتدوا بعدك» وهذه تشمل من ارتد بعد موته من العرب، وقيل: إلى يوم القيامة. والله أعلم.

تنبيه:

يستدل الطاعنون على صحة قولهم بِردّة الصحابة، بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٤] ويقولون: إن الله تعالى أثبت في كتابه ردة الصحابة بعد موت النبي ﷺ!

والجواب: أن هذه الآية أكبر دليل على أن المعني بالردة في أحاديث

(١) انظر: كتاب (الصحابة بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية) لحسن فرحان ص: ٦٣، و(الانتصار للصحاب الأخيار) للشيخ عبد المحسن العباد ص: ١٢٨-١٣٠.

الحوض ما حصل من ردة العرب بعد موت النبي ﷺ وقتال الشاكرين لهم، وهم الذين صبروا على دينهم وثبتوا عليه، وهم أبو بكر وأتباعه الذين قاتلوا المرتدين، فكان جزاء هذا الشكر التمكين لهم في الأرض.

قال ابن القيم رحمه الله: «والشاكرون: هم الذين عرفوا قدر النعمة فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا، فظهر أثر هذا العِتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله ﷺ، وارتد من ارتد على عقبيه، وثبت الشاكرون على دينهم، فنصرهم الله وأعزّهم وظفرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم»[1].

وهنا يقال: إذا كانت الردة من الصحابة كما تقولون: فكيف يمكّن لهم الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾؟!، والشاكرون على قولكم هم علي رضي الله عنه وأتباعه، وهؤلاء بالإجماع لم يمكّن الله تعالى لهم بعد رسوله! فأين جزاء الشاكرين؟!

وقد استدل الصدّيق رضي الله عنه بهذه الآية يوم مات رسول الله ﷺ على جميع الصحابة[2]، فعجباً أيستدل (المرتد)! بآية رِدّتِه دون أي نكير من الصحابة، فأين الشاكرون إذن؟!

(١) بدائع التفسير ١/ ٥١٥.
(٢) البخاري -كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- رقم: (٣٦٦٨).

قال السعدي رحمه الله: «وفي هذه الآية أيضاً أعظم دليل على فضيلة الصدّيق الأكبر أبي بكر وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول ﷺ لأنهم هم سادات الشاكرين»(١).

وقد ذكر بعض العلماء أن سبب نزول هذه الآية لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، وشاع في الناس أن الرسول قتل، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، فأنزل الله تعالى هذه الآية معاتباً لهم على هذا الصنيع.

وقد قال أهل التفسير إن قوله: ﴿ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٤٤] ليس المقصود به الردة عن الإسلام، قال الزمخشري رحمه الله: «والانقلاب على الأعقاب: الإدبار عما كان رسول الله ﷺ يقوم به من أمر الجهاد وغيره، وقيل: الارتداد، وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم..»(٢)

قال الشوكاني رحمه الله: «عن علي في قوله: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٤] قال: الثابتين على دينهم، أبا بكر وأصحابه، فكان عليّ يقول: كان أبو بكر أمير الشاكرين»(٣).

---

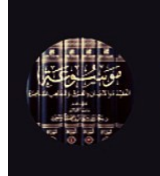
(١) تفسير السعدي ١/ ٢٤٨.

(٢) الكشاف ١/ ٦٣٧.

(٣) فتح القدير ١/ ٥٨٤.

وبعد هذا العرض يتبين لك أن هذه الآية من أظهر الأدلة على إيمان الصحابة وعدم ردتهم، وأن استدلال الخصم بها دليل على التعنت في فهم الآيات واتباع المتشابه. والله الموفق.

الفصل الثالث



تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة



معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة

الإشعارات

معطّلة

تمهيد

جاء كثير من الأحاديث عنه ﷺ فيها دلالة صريحة واضحة أن أصحابه رضي الله عنهم هم أول الواردين على حوضه، الشاربين منه، وأنه ﷺ ينتظرهم على حوضه ويفرح بقدومهم، وهذا هو صريح القرآن والسنّة، وما سواه طعن في الكتاب والسنة بالطعن في حملتها، وإثبات للتناقض في كلام الشارع، وهو مقصود أهل الزيغ الذين يتركون المحكم من الآيات عمداً، ويتبعون المتشابه قصداً، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧] ، قال السعدي: «فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم يتبعون المتشابه منه، فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة، وآرائهم الزائفة، طلباً للفتنة وتحريفاً لكتابه، و تأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم ليَضلوا ويُضلوا»(١)، أما أهل الرسوخ في العلم والإيمان فيدركون سخافة القول

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/ ٢٠٨.

بِردّة الصحابة وتهافته، وأن الشيطان وجد في قائله رسولًا لهدم الدين من أركانه!

وهنا سؤال مهم:

ماذا يبقى من الإسلام إذا ارتد جميع أصحاب محمد ﷺ إلا ثلاثة أو خمسة؟!

إن استرسال الفكر في لازم هذا القول يقوده إلى اعتناق دين جديد - والعياذ بالله- فهل يتصور عاقل متجرد من هواه أن يَرد الناس حوضه ﷺ ويطرد عنه من ناصره وآواه وهاجر معه؟! وهل كان إيمان مَنْ بعدهم إلا بهم وهم نقلة الكتاب والسنّة؟! وأين تذهب وعلى ماذا تُخرّج المئات من الآيات والأحاديث في مدحهم والثناء عليهم؟! وعلى يد من كانت هذه الفتوحات شرقاً وغرباً؟! وعلى يد من دخل الناس في دين الله أفواجاً؟! ومن كسّر مُلْك كسرى! وقصّر عُمْر قيصر إلا أولئك! وماذا سيقول هؤلاء لمن يريد الدخول في دين الإسلام؟! هل سيقولون: إن أصحاب من تريدون الدخول في دينه قد ارتدوا بعده! وإنهم حرّفوا كتاب الله وبدّلوه! وإن جهادهم معه كان نفاقاً! وإن تربيته وتزكيته لهم لم يستفد منها إلا خمسة أو أقل، فأي دين بربك يستبدلون؟! إننا نطالب أصحاب هذا القول بترك التقليد، وتحرير العقول، والبحث الجاد

الصادق عن الحق بعيداً عن التأويل الأسطوري للروايات، والتي يناقضها الواقع، ويكذبها التاريخ، وهي مراد الشيطان وأعوانه.

﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة:٤١].

المبحث الأول

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أول الواردين لحوضه الشاربين منه

١ - عن ثوبان رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «إني لَبِعُقرِ حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يَرْفضّ عليهم، فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمّان، وسئل عن شرابه، فقال: أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، يغتّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورِق»[١].

قال ابن الأثير في النهاية: « (عُقْر) بالضم: موضع الشاربة منه»، وقال صاحب القاموس: (عُقْر) بالضم: مُؤَخّر الحوض، أو مقام الشارب منه»[٢].

والشاهد من الحديث قوله ﷺ: «أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يَرفضّ عليهم». قال النووي رحمه الله: «معناه: أطرد الناس عنه غير أهل اليمن ليرفض على أهل اليمن، وهذه كرامة لأهل اليمن في

---

(١) مسلم - كتاب الفضائل - رقم: (٢٣٠١)

(٢) النهاية ص: ٦٣٠، القاموس المحيط ص: ١١٨٧.

تقديمهم في الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم في الإسلام، والأنصار من اليمن، فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي ﷺ أعداءه والمكروهات، ومعنى: (يَرفضّ) أي: يسيل عليهم»[١].

وقال القرطبي رحمه الله: «يعني: السابقين من أهل اليمن الذين نصره الله بهم في حياته، وأظهر الدين بهم بعد وفاته، وقد تقدم أن المدينة من اليمن، وأنهم أحق بهذا الإكرام من غيرهم، لما ثبت لهم من سابق النصرة والأثرة؛ ولذلك قال للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»»[٢].

هل رأيت مقدار الحب والوفاء بين النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، حتى أنه يطرد الناس عن حوضه حتى يكون أهل اليمن وهم الأنصار أول الشاربين! فأي دليل بعد هذا؟! وكيف سيردّ الطاعنون عليه؟!

٢- عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «حوضي من عدن إلى عمّان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأكاويبه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين، الشُّعُثُ رءوسًا، الدُّنس ثياباً، الذين لا

(١) مسلم بشرح النووي ١٥/ ٦٢.
(٢) المفهم ٦/ ٩٦.

يَنْكِحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السُّدد»[١].

والشاهد منه قوله ﷺ: «أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين..» قال المباركفوري رحمه الله: «المراد من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وهو ﷺ سيدهم»[٢]، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ ﴾ [الحشر:٨].

فهل بقي بعد هذين الحديثين اللذين جمع فيهما ﷺ بين المهاجرين والأنصار على حوضه قول لدعيّ يثير غبار التشكيك ودخان التشويه؟! وما هو موقفهم بعدما سمعوا قوله ﷺ هل سيسلّمون ويستسلمون لله ورسوله ﷺ كحال أهل الإيمان، أم سيستمرون في اللجاج والعناد، والإيمان ببعض الكتاب دون بعض؟!

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة؟ فقال: أنا فاعل، قال: قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قال: قلت: فإن لم ألقك على

(١) الترمذي رقم: (٢٤٤٤)، ابن ماجه رقم: (٤٣٠٣)، وصححه الألباني.
(٢) تحفة الأحوذي ٧/ ١١٥.

الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن»[١].

فهذا أنس رضي الله عنه يسأل الرسول ﷺ الشفاعة، فيقول ﷺ: «أنا فاعل»، ثم يواعده في المواطن الثلاثة ومنها الحوض، فدل على وروده حوضه ﷺ وشربه منه. وهذا الحديث وإن كان خاصاً بأنس رضي الله عنه وهو داخل في عموم حديث ثوبان السابق عن الأنصار، إلا أن فيه فوائد منها: أن أنساً رضي الله عنه من الصحابة الذين يخصهم الإمامية بالطعن والبغض وهذا الحديث يردّ عليهم، ومنها: أن النبي ﷺ واعده، وهو ﷺ لا يخلف الميعاد، ومنها: إثبات إيمان أنس رضي الله عنه حيث إن الشفاعة لا تكون للمنافقين والكافرين، فدل ذلك على إيمانه رضي الله عنه، وهذه شفاعة خاصة دون الشفاعة العامة التي للأمة، والله أعلم.

٤ - عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً، فقال: ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد عليَّ الحوض. قال: قلت: كم كنتم يومئذ؟ قال: سبع مائة أو ثمان مائة»[٢].

حديث زيد رضي الله عنه فيه دلالة صريحة على أن صحابته رضي الله عنهم من

(١) الترمذي رقم: (٢٤٣٣)، وصححه الألباني.

(٢) أبو داود رقم: (٤٧٤٧)، وصححه الألباني.

الواردين حوضه، وهم جزء من أجزاء كثيرة ترد عليه ﷺ الحوض، وقد كانوا في هذا الحديث سبعمائة أو ثمانمائة، وهؤلاء قد خصّهم الرسول ﷺ بهذه البشارة، وغيرهم ممن لم يكن معه داخل في عموم الأحاديث السابقة، والله أعلم.

٥ - عن خولة بنت حكيم[1] قالت: «قلت: يا رسول الله إن لك حوضاً؟ قال: نعم، وأحب من ورده عليّ قومك». وفي رواية: «وأحب الناس إليّ أن يروى منه قومك»[2].

وهذا الحديث كسابقه فيه دليل على ورود الأنصار - وهم من أهل اليمن - حوضه الشريف، وأنهم أحب من ورد عليه الحوض وخصّ منهم أخواله بني النجار، وهذا كما سبق مجازاة لهم لحسن صنيعهم معه ﷺ.

٦ - عن أسيد بن حضير رضي الله عنه: «أن رجلاً من الأنصار خلا برسول الله ﷺ، فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلاناً، فقال: إنكم

(١) ويقال: خولة بنت قيس بن قهد ويقال: خولة بنت ثامر، حكاه ابن المديني، وأبو عمر، ويقال: هما ثنتان، وهي زوج حمزة بن عبد المطلب، أنصارية خزرجية نجارية رضي الله عنها. انظر الاستيعاب ص:٨٩٣، الإصابة ٨/ ١١٣، ١١٩.

(٢) السنّة لابن أبي عاصم رقم: (٧٠٤-٧٠٥)، وقال الألباني: إسناد صحيح.

ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[١] وفي رواية للبخاري: «... وموعدكم حوضي».

فهذا رسول الله ﷺ يرشد الأنصاري إلى الصبر هو وقومه على ما سيرونه من أثرة غيرهم عليهم في أمور الدنيا حتى يلقوه على الحوض، وفيه أكبر دليل على إكرام الرسول ﷺ لهم بالشرب من حوضه، وإلاَّ كيف يواعدهم على حوضه بعدما وفّوا له بالصبر على ما عاهدهم عليه ثم يطردون عنه؟!

٧ - عن زيد بن أرقم رضي الله عنه في حديثه لعبيد الله بن زياد لمّا أنكر الحوض، قال: «قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعدناه...» الحديث[٢].

والشاهد منه قول زيد رضي الله عنه: «ووعَدَناه» وهو واضح أن الرسول ﷺ قد واعد أصحابه على الحوض، وهم أصدق من وفى.

٨ - عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موعدكم لحوضي...» الحديث[٣].

---

(١) البخاري- كتاب مناقب الأنصار- رقم: (٣٧٩٢، ٣٩٩٣)، ومسلم - كتاب الإمارة- رقم: (١٨٤٥) واللفظ له.

(٢) سبق تخريجه وهو صحيح.

(٣) سبق تخريجه وهو صحيح.

وهذا الحديث كسابقيه، ولكن فيه أن الموعد ليس خاصًا بالأنصار، ولكنه عام للصحابة جميعاً.

٩ - عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تردون عليّ الحوض، وأنا أردّ عنه الناس بعصاي...»[(١)].

١٠ - عن عمرو بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبدٍ السلمي يقول: «قام أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: ما حوضك الذي تُحدّث عنه؟ فقال: هو كما بين صنعاء إلى بُصرى، ثم يمدني الله فيه بكراع لا يدري بشر ممن خلق أيّ طرفيه، قال: فكبّر عمر، فقال ﷺ: أما الحوض فيزدحم عليه فقراء المهاجرين الذين يقتلون في سبيل الله، ويموتون في سبيل الله، وأرجو أن يُوردني الله الكراع فأشرب منه»[(٢)].

قال ابن الأثير: «(الكُراع): طرف من ماء الجنة، مشبَّه بالكراع لقلته، وأنه كالكراع من الدابة»[(٣)].

---

(١) الآجري رقم: (٨٣٧)، وفيه سالم بن أبي الجعد ثقة، ولكنه لم يسمع من ثوبان، ويشهد له ما قبله، انظر التهذيب ١/ ٦٧٤.

(٢) ابن أبي عاصم في السُنة ص:٣١٦، وابن حبان رقم: (٦٤٥٠)، وأحمد مختصراً ٢٩/ ١٩١، وصححه الألباني.

(٣) النهاية ص:٧٩٨.

والشاهد قوله ﷺ: «أما الحوض فيزدحم عليه فقراء المهاجرين..» وهذا دليل على أن فقراء المهاجرين الذي يقتلون ويموتون في سبيل الله، يزدحمون على حوضه ﷺ، ومعهم شهادة بوروده وهو ما ذُكر في الحديث من الإيمان والهجرة والصبر والجهاد والقتل والموت في سبيل الله، وهي من أكبر علامات الصدق مع الله تعالى.

١١ - عن أبي صالح قال: «بعث رسول الله ﷺ أبا بكر على الموسم، فلما سار بعث علياً في أثره بآيات من أول براءة فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله ما لي؟ قال: خير، أنت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض، قال: فقال: أبو بكر: رضيت»[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار»[٢]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

١٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت

---

(١) أحمد في فضائل الصحابة رقم: (١٧٧) مرسلاً عن أبي صالح، ووصله الطبري عن أبي صالح عن علي مرفوعاً نحوه، ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٠٤.

(٢) الترمذي رقم: (٣٦٧٠).

أنا قد رأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد، فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غرٌّ محجلة بين ظَهْرَي خيل دُهم بُهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلمّ، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فهذا يبين أن كل من توضأ وغسل وجهه ويديه ورجليه فإنه من الغرّ المحجّلين، وهؤلاء جماهيرهم إنما يُقدّمون أبا بكر وعمر. والرافضة لا تغسل بطون أقدامها ولا أعقابها، فلا يكون من المحجلين في الأرجل..»(٢)، فهذا الحديث مع ما تقدم من الأحاديث يدل على أنّ الصحابة وهم الغرّ المحجّلون من آثار الوضوء، أولى من شملته هذه المنقبة، ولهذا قال ﷺ: «أنا فرطهم على الحوض» أي: سابقهم إليه ومصلحه إكراماً لهم، كحال صاحب الدار مع الضيف، وقد قال ﷺ في هذا الحديث عن المذادين: (رجال) ولم يقل: أصحابي أو منكم حتى لا يقع لَبْس عند من يهوى التأويل أو التهويل، وفي الحديث

---

(١) مسلم - كتاب الطهارة - رقم: (٢٤٩).

(٢) منهاج السنة النبوية ٧/ ٣٨٨.

الذي قبله عند مسلم: «وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يا رسول الله: أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون عليَّ غراً محجلين من أثر الوضوء»[1]، وهنا عبّر ﷺ: (بالناس) وخصّ أصحابه بمعرفتهم بالغرة والتحجيل وهي صفة من يَردُ حوضه، وفي الرواية الأخرى التي أخبر فيها ﷺ عن المذادين بقوله: «وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي..» ففي أول الحديث قوله ﷺ: «ترد عليَّ أمتي الحوض..» فدل على كون أهل الطرد من عموم أمته وليس من صحابته، حيث لم يجمع النبي ﷺ بين أصحابه وهم أهل الغرة والتحجيل، وبين أهل الذود في رواية واحدة دون ما يزيل الإشكال ويوضح المثال. والله أعلم.

تنبيه:

إذا قال قائل: لم يذكر النبي ﷺ في الأحاديث السابقة بلفظ صريح أن الصحابة رضي الله عنهم يشربون من حوضه، وغاية ما ذُكر أنهم يَرِدون حوضه فقط، وهناك يطردون عنه كما دلت عليه الأحاديث!!

والجواب: أولاً: أن النبي ﷺ قد بيّن في أحاديث الحوض بياناً

---

(١) مسلم - كتاب الطهارة - رقم: (٢٤٧).

واضحاً أن من وَرَد عليه الحوض فقد شرب، وأن من يذاد عن الحوض فإنه يُدفع عنه قبل الوصول إليه، وعلى هذا يكون أصحابه أول الناس وروداً عليه وشرباً منه، ثم الناس من بعدهم؛ وذلك لعظيم قدرهم عنده ﷺ، ودليل هذا القول مع ما سبق من الأدلة: قوله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض من وَرَد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وَلَيردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم...»[١] وقال ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، فمن ورد عليَّ أفلح..»[٢] قال النووي رحمه الله: «هذا صريح في أن الواردين كلهم يشربون، وإنما يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم»[٣]، وكذ قال عياض رحمه الله: «يعني الممنوع من شربه إنما هو من لم يَرد عليه، وهم الذين ذيدوا وذبوا عنه، واختلجوا دونه، وأن كل من ورد شرب»[٤].

ثانياً: بيّنّا في المبحث الرابع الألفاظ التي يتمسك بها الطاعنون، وبينّا هناك أنه لا دليل فيها ألبتة على مذهبهم الباطل.

ثالثاً: القاعدة عند المنصف الطالب للحق هو إعمال جميع الأدلة،

---

(١) مسلم – كتاب الفضائل – رقم: (٢٢٩٠).

(٢) ابن أبي عاصم رقم: (٧٧٣)، وصححه الألباني.

(٣) مسلم بشرح النووي ١٥/ ٥٤.

(٤) إكمال المعلم ٧/ ٢٥٨.

والنظر فيها بإنصاف وعدل، بخلاف الذين يعتقدون ثم يستدلون، وهؤلاء لن يجدي معهم وعظ ولا زجر.

رابعاً: جاءت أحاديث تبين أنه ﷺ أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنه يرجو أن يكون أكثر الأنبياء واردة لحوضه، مباهاة بهذه الأمة على جميع الأمم، وقد استجاب الله له ذلك، فيكون من يرِد عليه الحوض أكثر مما يرد على حياض الأنبياء، لأنه أكثرهم تبعاً، والشاهد من هذا أن الصحابة هم سبب الهداية لهذه الأمة بعد الرسول ﷺ، وكل خير لحقها فهو من بركة جهادهم ودعوتهم ونشرهم للعلم، فيكونون أول هذه الأمة وروداً لحوضه، تقديماً للأفضل فالأفضل، هذا الذي يقتضيه الأثر والنظر الصحيح، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة] هذا هو مذهب أهل الإسلام، أما الذين يرون أن الصحابة قد ارتدوا بعد النبي ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يتجاوزون أصابع اليدين! فهؤلاء كيف يكاثر الرسول ﷺ بهم الأمم، وهم قد كفّروا الرعيل الأول، وكفّروا عموم المسلمين الذين لا يقولون بقولهم في الصحابة وفي بقية عقائدهم التي لا وجود لها في كتاب الله، فكيف يكون ﷺ أكثرهم تبعاً على هذا القول؟!

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن لي حوضاً، ما بين الكعبة وبيت المقدس، أبيض مثل اللبن، آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة»(١).

وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردةً، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»(٢). وقد قال ﷺ: «لتزدحمنّ هذه الأمة على الحوض ازدحام إبل وردت لخمس»(٣).

ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ جاءت في أحاديث الحوض، مما يدل على صحة ما ذكرناه من كون صحابته أول الناس وروداً، ثم أتباعهم وهم السواد الأعظم في أمة محمد ﷺ في القديم والحديث، وأما من كفّرهم أو فسّقهم فلا يكادون يُذكرون عدداً في أمة محمد ﷺ، فكيف يباهي الأنبياء ويكون أكثرهم تبعاً وواردة ولم يَبق من صحابته إلا أفراداً لا يتجاوزون أصابع اليدين؟!

---

(١) ابن ماجه رقم: (٤٣٠١)، وصححه الألباني، وانظر الصحيحة رقم: (٣٩٤٩).

(٢) الترمذي رقم: (٢٤٤٣)، وصححه الألباني، وانظر الصحيحة رقم: (١٥٨٩).

(٣) الطبراني في الكبير، وابن بشكوال في الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر ص:١٢٣، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٠٣.

المبحث الثاني
ثناء نصوص الكتاب والسنة على الصحابة ينقض القول بردتهم

المتأمل في نصوص الكتاب والسنة يجدها حافلة بالثناء على أصحاب النبي ﷺ، ولا يحتاج هذا الأمر إلى كثير بيان، فليس بيننا وبين المنكر سوى تقليب صفحات القرآن الكريم مع ترك التقليد ونبذ الهوى.

وعندها يقع السؤال المهم:

هل يليق بمن يعرف السر وأخفى ﷻ أن يزكّي الأشرار، ويثني عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فينخدع بهم الناس، ويقتدون بثلة من المجرمين؟! وهل يترك الرب تبارك وتعالى - القوي القادر- هؤلاء الأشرار وزراء لنبيه ﷺ، يعاشرهم ويناكحهم ويستشيرهم، ويقودون جيوشه، ويثني عليهم، ولا يظهر أمرهم لنبيه ﷺ؟! أليس هذا طعناً في الله - تبارك وتعالى - كما هو طعن فيه ﷺ أنه لا يحسن اختيار أصحابه! وهل معنى هذا إلا أن الرسول ﷺ ظل يربي جيلاً

(مجرماً)!! قرابة ثلاث وعشرين سنة وهو لا يدري[١]! قال تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنفال:٦٢] فهل يؤيده الله بالمرتدين؟! وهل حصل النصر بواحدٍ أو اثنين أو ثلاثة أم بمجموع الصحابة؟!

وهاك بعض نصوص الوحيين الدالة على عدالة الصحابة للتأمل والتدبر:

أ- من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة:١٠٠]

تأمل معي هذه الآية بروح مؤمنة متجردة، تجد الرب تبارك وتعالى يثني على «هؤلاء السعداء الذين ثبت لهم رضا الله عنهم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة»[٢].

---

(١) تعتقد الإمامية أن الأئمة يعلمون الغيب، وأنهم لا يخفى عليهم شيء، وأن ما يفعلونه هو بعهد من الله!! والرسول ﷺ أعلى منزلة من الأئمة، فيلزم أن الرسول ﷺ علم بحالهم، وأن هذا بعهد من الله تعالى!! انظر: الكافي ١/ ٣١٦، ٣٣٥.

(٢) بدائع التفسير ٢/ ٣٧٢.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ هل يرضى الله عن قوم وَيُعِدُّ لهم جنات خالدين فيها أبداً، ثم يغضب عليهم بعد هذا الفوز العظيم؟! إن رد شهادة العدول من الناس مردود في الدنيا، فما هو حكم من رد شهادة الله تعالى في أصحاب محمد ﷺ؟!

٢ - قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفتح:١٨-٢٠].

٣ - وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح:٢٩].

تأمل معي في هذه الكلمات: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ ﴾ و ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾

و ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ تدرك حقيقة هؤلاء السعداء، قال ابن القيم رحمه الله: «إنه سبحانه علم ما في قلوبهم من الإيمان والخير ومحبته ومحبة رسوله فثبّتها بالسكينة وقت قلقها واضطرابها...»[١]، فهل يُعقل أن يرضى الله تعالى عن قوم، ويُعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل، ويهديهم صراطاً مستقيماً! ثم يدخلهم النار؟! ويا ترى ما هو موقف أهل الكتاب مما في توراتهم وأناجيلهم من هذه الأمثال المضروبة (المكذوبة)! عياذاً بالله، فهل هذا إلا كذب على أهل الكتاب في ضرب الأمثال لهم، وتراجع عن تزكية القدوات بعد الامتثال في الاقتداء؟! ولمن ستكون الجنة التي أعّدها الله تعالى بعد ارتداد أهلها عنها؟! وهل تكون (إثابتهم) دخول النار بعد علمه بحال قلوبهم؟! ولماذا يُمكّن الله للمرتدين بالنصر ويرضى عنهم وهم بهذا القبح والسوء؟!

فهل هذا القول إلا غاية الغواية، وفي قلة الأدب نهاية، تعالى الله وتقدس عما يقوله الظالمون علواً كبيراً، قال ابن قتيبة رحمه الله: «فكيف يجوز أن يرضى الله عز وجل عن أقوام يحمدهم ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ، إلا

(١) بدائع التفسير ٤/ ١٧٠.

أن يقولوا: إنه لم يعلم، وهذا هو شر الكافرين»(١)، يقول سيد قطب رحمه الله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ وتعمد إغاظة الكفار يوحي بأن هذه الزرعة هي زرعة الله أو زرعة رسوله، وأنها ستار للقدرة وأداة لإغاظة أعداء الله، وهذا المثل كذلك ليس مستحدثاً، فهو ثابت في صفحة القدر، ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيء محمد ومن معه إلى هذه الأرض، ثابت في الإنجيل في بشارته بمحمد ومن معه حين يجيئون. وهكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة صحابة رسول الله ﷺ، فتثبت في صلب الوجود كله، وتتجاوب بها أرجاؤه، وهو يستمع إليها من بارئ الوجود، وتبقى نموذجاً للأجيال، تحاول أن تحققها، لتحقق معنى الإيمان في أعلى الدرجات»(٢).

وهنا لفتة:

كان وما زال أهل الكتاب وغيرهم من أعداء هذا الدين منذ بعثة محمد ﷺ وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، يسعون لهدم هذا الدين وإطفاء نوره كما حكى الله عنهم، ولو أنهم وجدوا في هذا الدين ما يقدح ويطعن فيه، سواء في رسوله ﷺ أو القرآن أو الصحابة – الذين ذكرهم

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص: ٢١٩.

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٣٢.

الله تعالى في كتبهم - لصرحوا به وشاع، فلما لم يوجد ذلك على مر الدهر، علم العاقل أن ما ذكر في التوراة والإنجيل من صفة أصحاب محمد ﷺ خاصة هو عين اليقين، ولو أنهم بدّلوا أو غيروا كما يقول الطاعنون لكان هذا من أعظم الطعن في دين الإسلام.. فتأمل.

٤ - قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر:٨- ٩].

هل يصح أن يكون: (الصادقون) الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، من أجل ماذا؟! يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وليس ذلك فحسب، بل وينصرون الله ورسوله! و(المفلحون) الذين تبوّءوا الدار والإيمان، هم أهل ردّة ونفاق! فلماذا خرجوا إذن؟ ولماذا قاتلوا وبذلوا؟ وما هي المصالح التي سيجنونها من الإسلام ورسوله ﷺ وهما في حالة من الضعف ظاهرة؟ ولكنهم: (الصادقون) و (المفلحون).

وهل تأملت في قوله تعالى: ﴿ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ ﴾ يقول سيد قطب رحمه الله: «أي دار الهجرة... وقد تبوأها الأنصار قبل المهاجرين، كما تبوءوا فيها الإيمان. وكأنه منزل لهم ودار، وهو تعبير ذو ظِلال. وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار»[1].

فقل لي بربك: بمن سيقتدي المسلمون بعد ذلك إذا كانت كل هذه النماذج ساقطة راسبة إلا ثلاثة؟![2]، وهل سيفلح طلاب مدرسة الإسلام في هذه العصور وأسلافهم قد فشلوا في عصر النبوة ونزول الوحي؟! وما هو قول هؤلاء في الآية التي تليها: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر:١٠] هل في قلوبهم غلٌّ للذين آمنوا؟! وما هو موقفهم من قوله

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٢٦.

(٢) (عن أبي جعفر (ع) قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي (ص) إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي). الروضة من الكافي ص:١٩٨. والسؤال: أين علي وفاطمة والحسن والحسين وبقية العترة؟! هل كانوا أهل ردة كذلك؟!

تعالى: ﴿ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾، وقد أثبت عالم الغيب أنهم ماتوا على الإيمان، أم أن هذا خاص بالثلاثة فقط؟!

٥- قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ (٧٤) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ (٧٥) ﴾ [الأنفال:٧٤-٧٥].

تأمل معي في هذه الكلمات: (الذين آمنوا، وهاجروا، وجاهدوا، في سبيل الله، الذين آووا، ونصروا، هم المؤمنون حقاً، لهم مغفرة ورزق كريم، آمنوا من بعد، ...) كلها كلمات حق يراد بها حق، صادرة ممن هو بكل شيء عليم، وتأمل في قوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡ ﴾ يعني: في الموالاة الإيمانية من الحب والنصرة، فما بال: (منكم) في هذه الآية لم تأخذ قدرها، وضرب الطاعنون عنها صفحاً، وأعرضوا عنها قصداً، وفي أحاديث الحوض أقاموا الدنيا من أجلها حتى أدخلوا فيها آلاف الصحابة! وفي هذا السياق القرآني لم يقيموا لها وزناً؟! إنه التحكم المحض حسب المنطق نفسه لا حسب الحق والباطل!

٦ - قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ١٠].

قال سيد قطب رحمه الله: «إن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة، والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء، غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة، والأنصار كثرة، والنصر والغلبة والفوز قريب المنال...»[1].

وقال القرطبي رحمه الله: «﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وكلاً وعد الله الحسنى» أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعاً الجنة مع تفاوت الدرجات»[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: «ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز ووجل، ولم يكن لأحد

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٨٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٠٧.

عنده نعمة يجزيه بها»(١)، فهل بعد الوعد بالحسنى - وهي الجنة- يخلف الله وعده ويذودهم ويطردهم؟! وقد قال تعالى عن نفسه أنه: ﴿ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ فهل يخفى على الخبير -سبحانه - أعمال عباده؟! وسواء كان الفتح هنا فتح مكة أو الحديبية، فالخلاف معهم ليس في هذا الأمر، ولكنه في معنى: وَعد الله تعالى للسابق واللاحق بالحسنى!

٧ - قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة:١١٧].

وهنا وقفات:

الأولى: ليس من لازم التوبة أن تسبق بذنب ممن وقعت منه أو له، لأن كل العباد محتاج إلى التوبة والاستغفار(٢).

الثانية: أن الله تعالى ذكر المهاجرين والأنصار هكذا مطلقاً، فسمّاهم بذلك دون تفريق بين السابق والمتأخر، ومعلوم أن ساعة العسرة في العام التاسع من الهجرة.

الثالثة: أن الله جمع في (التوبة) بين النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وهذا فيه ملحظ مهم: وهو الاتصال الروحي بينهم وبين نبيهم ﷺ.

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩٣.

(٢) فتح القدير ٢/ ٥٩٩.

الرابع: قال ابن القيم رحمه الله: «وتأمل تكريره سبحانه توبته عليهم مرتين في أول الآية وآخرها، فإنه تاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة فلما تابوا، تاب عليهم ثانياً بقبولها منهم، وهو الذي وفقهم لفعلها، وتفضل عليهم بقبولها، فالخير كله منه وبه، وله وفي يديه، يعطيه من يشاء إحساناً وفضلاً، ويحرمه من يشاء حكمة وعدلاً»(١) وغيرها كثير لمن تأمل.

فهل بعد: (تاب) الصادرة من قابل التواب سبحانه، يقول القائل: لم تقبل توبتهم؟!

وهل بعد تأكيد ذلك بقوله: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ يُطعن فيهم، بعد أن أعلن تعالى عن رضاه وتوبته عليهم في آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم! وهل بعد قوله: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ يصدّهم عن حوض نبيه ﷺ، ويُوردهم النار؟ إذن لماذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، أليس لمزيد عنايته (بهم) سبحانه، حيث وفقهم للتوبة، وثبّت قلوبهم أن تزيغ، وهذه سنته مع أوليائه في مواطن العسرة؟!

تنبيه:

لم يكن علي رضي الله عنه ضمن جيش العسرة، حيث خلّفه رسول الله ﷺ على المدينة، وإنما قلنا هذا حتى لا يقول قائل: إن الخطاب لعلي والثلاثة

---

(١) بدائع التفسير ٢/ ٣٨١.

أو الأربعة الذين لم يرتدوا بعد رسول الله ﷺ!! فلا يشمل بقية الصحابة[١]، فأي خير في أمة يموت نبيها فترتد بعده إلا ثلاثة؟! أهذه هي خير أمة أخرجت للناس؟! وهو عين كلامهم الذي يقولونه[٢]!

٨ - قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال ابن القيم رحمه الله: «فوصفهم بست صفات:

أحدها: محبتهم له.

والثانية: محبته لهم.

والثالثة: ذلهم ولينهم على أوليائه.

والرابعة: عزهم وشدتهم على أعدائه.

---

(١) خرج مع الرسول ﷺ في غزوة تبوك ثلاثون ألفاً من الناس. زاد المعاد ٣/ ٥٢٩.

(٢) يروي القمي عن أبي عبد الله: (أنه قرئ عنده قوله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] فقال أبو عبد الله: خير أمة: يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين -عليهم السلام-؟ فقال القارئ: جعلت فداك كيف نزلت؟ قال: نزلت: (كنتم خير أئمة أخرجت للناس). تفسير القمي ١/ ١١٠.

والخامسة: جهادهم في سبيله.

والسادسة: احتمالهم لوم الخلق لهم على ذلك..»[١].

قال محمد رشيد رضا رحمه الله: «فالقوم الذين يحبهم الله ويحبونه على هذا هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة... وغلاة الرافضة يزعمون أن الذين ارتدوا عن دينهم هم أبو بكر ومن شايعه من الصحابة وهم السواد الأعظم فقلبوا الموضوع، ولكن علياً كان مع أبي بكر لا عليه ولم يقاتله...»[٢].

وهنا يقال: هل حصلت ردّة بعد موت النبي ﷺ؟ فإن قلتم: لا، فقد كذّبتم بالواقع! وإن قلتم: حصلت ردة، قلنا: ممن؟ فإن قلتم: من الصحابة[٣]، قلنا: فهل قاتلهم علي وأصحابه؟! فإن قلتم: نعم، فقد

---

(١) بدائع التفسير ٢/ ١١٤.

(٢) تفسير المنار ٦/ ٣٦١.

(٣) من المتناقض الذي يدعو إلى التعجب، تناقض كتب الإمامية في ردة الصحابة ففي حين تقول رواية أبي جعفر: (إن الناس لما صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر، لم يمنع أمير المؤمنين (ع) من أن يدعو إلى نفسه إلا نظراً للناس وتخوفاً عليهم أن يرتدوا عن الإسلام، فيعبدوا الأوثان..).

وفي الرواية التي تليها عن عبد الرحيم القصير قال: قلت لأبي جعفر (ع): (إن الناس يفزعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا؟ فقال: عبد الرحيم، إن الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله ﷺ أهل جاهلية..)؟! روضة الكافي ص:٢٣٤.

كذبتم، وإن قلتم: لا، قلنا: إذاً علي ليس بداخل في هذا النص؛ لأنه لم يقاتل المرتدين! وإن قلتم: حصلت ردة من غير الصحابة - وهو الصحيح - فالصدّيق وأتباعه - وفيهم علي رضي الله عنه - هم المعنيون بهذه الآية.

أخي القارئ الكريم...

أكتفي بهذا القدر من آيات الكتاب العزيز، وليس المقصود التتبع لكل ما نزل في فضل الصحابة رضي الله عنهم، ولكنها إشارات وعلامات على الطريق يهتدي بها السالكون.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧].

ب- السنة النبوية:

١ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقولون: فيكم مَنْ صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم مَنْ صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام

من الناس، فيقال: هل فيكم مَنْ صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»[١].

قال ابن الأثير: «الفئام - مهموز -: الجماعة الكثيرة»[٢].

وأنا أسأل هؤلاء الطاعنين: هل تفتح البلاد للمرتدين الذين انقلبوا على أعقابهم؟! وهل تفتح بعد موتهم ببركة رؤيتهم ورؤية من رآهم إذا كانوا منافقين؟! ومن المعلوم بداهة أن الفتوحات بعد موت النبي ﷺ لم تكن إلا في خلافة الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، فهم الذين فتحوا البلاد وأدخلوا العباد في دين الله أفواجاً، وآثار فتوحاتهم ما زالت ماثلة للعيان! أما خلافة علي ﷺ فلم يكن فيها فتوحات، بل فتن وحروب داخلية حتى طمع العدو في المسلمين، وإنما قلنا هذا حتى لا يقول قائل: إن الحديث في شيعة علي ﷺ الذين قاتلوا معه، ومن المعلوم كذلك أن أئمة الاثني عشرية - بعد علي - لم تكن لهم دولة وجيوش، بل كان بعضهم ضمن جيوش الخلفاء الثلاثة! ولن يكون هذا زمن الغائب المعدوم؛ لأنه لم يَرَ النبي ﷺ، ولم يَرَ من رآه، أو من رأى من رآه... فتأمل هذا تعرف الحق وأهله.

---

(١) البخاري -كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- رقم: (٣٦٤٩)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة - رقم: (٢٥٣٢).

(٢) النهاية ص:٦٨٩، لسان العرب ١٠/ ١٦٩.

٢ - عن عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»[(١)].

خير الناس هم من يذاد عن حوض النبي ﷺ!! وخير الناس هم المرتدون المبدّلون بعده ﷺ!! أليس هذا طعناً في الله تعالى الذي جعل زمام: ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] في يد هؤلاء!! وطعناً في رسوله ﷺ الذي زكّى هذا القرن الذي فيه هؤلاء الذين بدّلوا بعده؟! وإذا لم يفلح خير قرن، فهل سيفلح من قال فيهم ﷺ: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَن»[(٢)]؟!

٣ - عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[(٣)].

(١) البخاري -كتاب الشهادات- رقم: (٢٦٥٢)، ومسلم -كتاب فضائل الصحابة- رقم: (٢٥٣٣).
(٢) البخاري -كتاب الشهادات- رقم: (٢٦٥١)، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة- رقم: (٢٥٣٥).
(٣) مسلم -كتاب فضائل الصحابة- رقم: (٢٥٣١).

فكيف يأتي الأمن والأمان مع الخيانة؟ وهل كانت خلافة الثلاثة ﷺ إلا أمنًا وأمانًا وأمجادًا وفتوحات؟ وهل كان عهد الصحابة إلا خير القرون بشهادة الرسول ﷺ؟ وهذا الحديث يشمل كل الصحابة ﷺ، لأن الحديث عام ولم يخص أحداً منهم دون أحد.

ولا يشكل على هذا الحديث والذي قبله وجود بعض مظاهر الفساد من الحكام والأمراء بعد زمن الخلفاء الراشدين، فالعبرة بمجموع الأمة وليس في بعض أفرادها.

٤ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»(١).

فنهى النبي ﷺ عن سبهم، واللعن أشد، والقول بِردتهم وكفرهم أعظم، وإنما نبّه النبي ﷺ بالأدنى وهو السب على ما هو أعظم وأعلى وهو لعنهم وتكفيرهم، وهذا الحكم شامل لجميع الصحابة من تقدم إسلامه ومن تأخر، وليس خاصاً بسبب الحديث.

ثم يقال: لماذا لا يأمر النبي ﷺ بسبهم ولعنهم والتحذير منهم، إذا

(١) البخاري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - رقم: (٣٦٧٣)، ومسلم - كتاب فضائل الصحابة - رقم: (٢٥٤٠).

كانوا سيرتدون بعده؟! أليس هم أولى باللعنة من بعض أصحاب المعاصي الذين لعنهم ﷺ في بعض الأحاديث؟!

٥ - حديث ابن عباس رضي الله عنهما الطويل في قصة هرقل وسؤال أبي سفيان عن النبي ﷺ، وفيه: «... قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتدّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا ...» ثم قال له هرقل: «.. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد ...»[1].

٦ - حديث المسور بن مخرمة ومروان في قصة الحديبية، وفيه قول عروة بن مسعود لقريش يصف أصحاب محمد ﷺ: «.. ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا

(١) البخاري -كتاب الجهاد والسير- رقم: (٢٩٤١).

أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيمًا له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون إليه النظر تعظيما له..»[1].

وتتوالى الشهادات لأصحاب محمد ﷺ، فشهادة من هرقل ملك الروم، وشهادة من أبي سفيان سيد قريش - قبل إسلامه - وشهادة من عروة الثقفي سيد ثقيف - قبل إسلامه - عن الصحابة ﭫ، فتارة أنهم لا يرتدون عن دينهم سخطة منه بعد أن يدخلوا فيه، وتارة عن حب الصحابة لرسولهم ﷺ، وشدة متابعتهم له واقتدائهم به وتعظيمهم له.

وإنصاف المخالف أشد وقعاً في النفس من إنصاف الموافق، وإلا فمن بلغت رتبته مناكب الجوزاء فلن يرفعه ثناء قوم ولن يضعه ذمهم!

---

(١) البخاري -كتاب الشروط- رقم: (٢٧٣٢).

فهل بعد شهادة الأعداء يقر هؤلاء الطاعنون بعدالة الصحابة وعظيم مكانتهم واستحالة ردتهم، بعد أن طعنوا في شهادة الله لهم، وشهادة رسوله ﷺ فيهم، وردّوها ونزّلوها على غير منازلها، خروجاً بالنصوص عن النص، ورسماً للتاريخ كما يريدون؟

٧ - عن أم مبشِّر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها...»[(١)].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض، وكنّا ألفاً وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة»[(٢)].

قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه: لا يدخلها أحد منهم قطعاً... وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك..»[(٣)].

وعن جابر رضي الله عنه: «أن عبداً لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً، فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) مسلم -كتاب الفضائل-رقم: (٢٤٩٦).

(٢) البخاري -كتاب المغازي- رقم: (٤١٥٤)، ومسلم-كتاب الإمارة-رقم: (١٨٧٦).

(٣) مسلم بشرح النووي ١٦/ ٥٨.

كذبت، لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية»[١] وقال ﷺ: «... وما يدريك لعل الله اطلع على أهل البدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم...»[٢] قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: معناه: الغفران لهم في الآخرة»[٣].

٨ - عن عقبة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خرج يوماً، فصلى على أهل أُحُد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض -أو مفاتيح الأرض- وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»[٤].

قال النووي رحمه الله: «في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ فإن معناه: الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض وقد وقع ذلك، وأنها لا

(١) مسلم -كتاب الفضائل-رقم: (٢٤٩٥).

(٢) البخاري -الجهاد والسير-رقم: (٣٠٠٧) ومسلم-كتاب فضائل الصحابة- رقم: (٢٤٩٤).

(٣) مسلم بشرح النووي ١٦/ ٥٦، وانظر: فتح الباري ٨/ ٨٠٩، والمفهم ٦/ ٤٤٢.

(٤) البخاري - كتاب الرقاق- رقم: (٦٥٩٠)، ومسلم - كتاب الفضائل- رقم: (٢٢٩٦)

ترتد جملة وقد عصمها الله تعالى من ذلك، وأنها تتنافس في الدنيا وقد وقع كل ذلك»[١]، وقال العيني رحمه الله: «وفيه: أن أمته لا يخاف عليهم من الشرك، وإنما يخاف عليهم من التنافس، ويقع منهم التحاسد والتباخل»[٢]، وعلى هذا فما ذكره الطاعنون من ردة الصحابة جملة، مردود بهذا الحديث الذي جاء في سياقه ذكر الحوض كذلك، والله أعلم.

٩- وعن بهز عن أبيه عن جدّه قال: سمعت نبي الله ﷺ يقول: «ألا إنكم تُوفُون سبعين أمّةً، أنتم خيرها وأكرمها على الله»[٣].

قال ابن العربي رحمه الله: «ولما كان نبينا خير الأنبياء كانت أمته خير الأمم، ففضلنا بفضل نبينا»[٤]، والحديث عند الترمذي جاء بعد تلاوة النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠] قال: «إنكم تَتِمُّون..» الحديث بمثله.

(١) مسلم بشرح النووي ١٥/ ٥٩.

(٢) عمدة القاري ٨/ ٢٣١.

(٣) أحمد في المسند ٣٣/ ٢٣١ رقم: (٢٠٠٢٨)، والترمذي رقم: (٣٠٠١)، وابن ماجه رقم: (٤٢٨٨)، والدارمي رقم: (٢٨٠٢) وغيرهم، وصححه الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/ ١٦٥، والألباني والأرنؤوط.

(٤) عارضة الأحوذي ١١/ ٩٧.

هذه بعض الأحاديث الدالة على فضل صحابة النبي ﷺ، وليس قصدنا جمع الأحاديث وهي كثيرة جداً معروفة في مظانها، ولكن مقصدنا تذكير القوم الذين اتخذوا عداوتهم للصحابة دِيناً، أن يتفكّروا فيها، ويقلّبوا أبصارهم في كتاب الله تعالى بدون تعصب لقول أو مذهب، وأن يزنوا هذه الآيات والأحاديث بعقولهم لا بعقول الآخرين، وأن يروها بأعينهم لا بعيون الآخرين، وعندها سيرى القوم أن غيوم الشكوك والتهم قد انقشعت عن أبصارهم، وأن نفوسهم التي طالما اضطربت وشكت الظلم المزعوم، قد تخلّصت من أوهامها، وعلمت أن دعواها مجرد وهم لا رصيد له من الواقع، عندها ستعيش في راحة وطمأنينة بين ما تسمعه من سيرة عطرة، وما تراه في الواقع من آثار تلك السيرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠].

المبحث الثالث
وقفات مهمة

وفي آخر المطاف إليك أيها القارئ المُنصف هذه الوقفات:

الوقفة الأولى:

مَنْ آمن بالقرآن، آمن بفضل الصحابة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وحفظ لهم سابقتهم وجهادهم وقيامهم بالحق والعدل به، وتبرأ من كل قول مناقض يدعو إلى السطو على حقائق تاريخهم، أو الحط من قدرهم والقدح في عدالتهم، وذلك أن القرآن حق، وهو كلام الملك الحق علاّم الغيوب، فما فيه من مدح وثناء صادر عن علم لا جهل فيه، وهذا الإيمان لازم لا خيار فيه وإلا لزم التناقض وهو محال.

الوقفة الثانية:

أحاديث الذود عن الحوض قد رواها الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان فيها قدح في إسلامهم، أو اتهام لهم بالنفاق والرِدّة لكتموها، كما يقوله الشانئون عن القرآن وفضائل علي رضي الله عنه واستحقاقه الإمامة بالنص من النبي صلى الله عليه وسلم قبل الثلاثة رضي الله عنهم، مما هو معروف كذبه.

الوقفة الثالثة:

حروب الرِدّة التي قادها الصدّيق بإجماع الصحابة رضي الله عنهم ضد المرتدين ومانعي الزكاة، أكبر دليل على أنهم هم المعنيون بالطرد والذود في أحاديث الحوض، ولا يمنع دخول غيرهم كما مر بك.

الوقفة الرابعة:

آيات النفاق التي تذم فئة معينة - والتي نَزّلها الطاعنون في الصحابة - قد كشفتها الأحداث، فهي قد نزلت في وقائع ذكرها القرآن، وكشفت تفاصيلها السُنّة، وسجّلتها كتب السير والتواريخ، وهذه الوقائع والمواقف العملية كفيلة بتمييز الصحابة من المنافقين، فلم يعد هناك مجال لموسوس يرسم التاريخ كما يحلو له!

الوقفة الخامسة:

كَثُرَ ذكر النفاق والمنافقين في آيات الكتاب العزيز؛ وذلك لأن النفاق ليس ظاهرة مرتبطة بزمنه ﷺ، ولكنه ظاهرة مستمرة إلى قيام الساعة، وليست كثرة النصوص دليلاً على كثرة المنافقين في زمنه ﷺ أو زمن صحابته رضي الله عنهم.

وكيف يُجوِّز عاقل أن يكون الصحابة رضي الله عنهم عند الرسول ﷺ من جنس المنافقين، وقد عرف كل عاقل إعراض الرسول ﷺ عن المنافقين،

وإهانته لهم، ولم يكن يقرب أحداً منهم بعد غزوة تبوك ونزول سورة براءة، وقد قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝ ﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١] فلما لم يغره بهم ولم يقتلهم تقتيلا، بل كانوا يجاورونه بالمدينة، دل ذلك على أنهم انتهوا وانقمعوا عن النفاق(١).

أما الآيات التي تثني على الصحابة فهي خاصة بذلك الجيل الذي شرّفه الله تعالى برؤية محمد ﷺ والإيمان به، كما شرّفهم بمحبة الله لهم ومحبتهم له، ورضاه عنهم ورضاهم عنه! فالصحبة غير متعدية إلى الأجيال التي بعدهم رضي الله عنهم.

الوقفة السادسة:

إذا أبى الطاعن إلا إنزال أحاديث الذود في الصحابة رضي الله عنهم، كان للناصبي(٢) أن يقول: أنتم تقولون: إن النبي ﷺ قال عن علي رضي الله عنه: «هذا مني..» و«إن علياً مني...» - وهو حق- فيكون هو المعني بقوله

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٤٣، ٦/ ٣٢٢.

(٢) (النواصب: المتديّنون بِبِغضَة علي رضي الله عنه؛ لأنهم نصبوا له، أي: عادوه) القاموس المحيط ص:١٧٢٠، اللسان ١٤/ ١٥٧.

ﷺ في أحاديث الحوض: «فأقول: مني...»! وهذا باطل يُرَدُّ به باطل، وإثبات جهل بجهل، ولكن ليس أحد القولين بأولى من الآخر، وإنما هي ثمرة مُرة لقول مُر ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ [المجادلة:٢].

الوقفة السابعة:

من المعلوم عند العقلاء أن النسخ لا يقع في الأخبار والفضائل، فلا يُخبر الله تعالى عن قوم ويزكيهم ويذكر فضائلهم ويأمر بموالاتهم ومحبتهم ثم يأمر بحربهم ومعاداتهم، أو يأمر بالخير ثم ينسخه إلى الأمر بالشر، هذا لا يقع منه تعالى الذي هو عليم بذات الصدور، وفيه من نسبة الجهل إليه - تعالى - ما لا يخفى.

ولو أن رجلاً من آحاد الناس قال قولاً فيه ثناء على شخص ثم نسخ قوله فيه وذمه لكان جهلاً منه ونقصاً، مع أن هذا الأمر سائغ وقوعه عقلاً وشرعاً؛ لعجزه عن معرفة الباطن والخواتيم، فهل يليق مثل هذا الأمر في حقه تعالى؟! فإذا كان أمر الصحابة - مثلاً - قد خفي على النبي ﷺ المؤيد بالوحي، فهل يخفى عليه تعالى؟!

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [تبارك: ١٤].

الوقفة الثامنة:

من المعلوم أن المرتد إنما يرتد لشبهة أو شهوة، ومعلوم أن الشبهات والشهوات في أوّل الإسلام كانت أقوى، فمن كان إيمانهم مثل الجبال في حال ضعف الإسلام، كيف يكون إيمانهم بعد ظهور آياته وانتشار أعلامه؟!

وأما الشهوة: فسواء كانت شهوة رياسة أو مال أو نكاح أو غير ذلك، كانت في أوّل الإسلام أوْلى بالاتّباع، فمن خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتركوا ما كانوا عليه من الشرف والعز حبًّا لله ورسوله، طوعاً غير إكراه، كيف يعادون الله ورسوله طلباً للشرف والمال؟!

ثم يقال: اتفق العلماء على أنه لم يكن في المهاجرين منافق، وإنما النفاق كان في قبائل الأنصار لمّا ظهر الإسلام بالمدينة.

ويقال أيضًا: إن من ارتد بعد موت النبي ﷺ إنما كان ممن أسلم بالسيف، أما المهاجرون الذين أسلموا طوعاً فلم يرتد منهم أحد[1]، فتأمل هذا تعرف الحق وأهله.

(١) منهاج السنة ٧/ ٤٧٦ - ٤٧٨.

الوقفة التاسعة:

إذا فسَّر الطاعن في الصحابة ﭬ قوله ﷺ في أحاديث الحوض: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» بقصة السقيفة، وأنها أول حَدَث في الإسلام بعد موته ﷺ، فيكون الصحابة هم المعنيون بهذه النصوص!

قابله من يقول: إن أول حَدَث بعد موت النبي ﷺ هو ردة العرب عن الإسلام ومنعهم الزكاة، ثم قتال الصدّيق والصحابة جميعًا وفيهم علي ﭬ لهم، فيكونون هم المعنيون بالحديث.

وفي القولين يقال:

ليس القول الأول بأولى في القبول من الثاني ولا بأقوى منه، وخاصة أن قضية السقيفة لم يترتب عليها ردة أحد - إلا عندكم - فقد كفّرتم الأمة بسببها، كما أنه لم يقل به غيركم!

وأما ردة العرب عن الإسلام، فقد أجمعت أمة محمد ﷺ على وقوعها، كما أجمعت على صحة قتال الصدّيق والصحابة ﭬ لهم - إلا أنتم - فقد كفّرتم الصحابة! وصوبتم فعل أهل الردة، وأنكرتم فعل الصحابة.

ويقال أيضًا: إن عليًّا قد أقر أهل السقيفة على اختيارهم وبايع

الصديق طائعاً كما نقول، أو مكرها كما تقولون، فيكون داخلاً في جملة ما أدخلتم فيه الصحابة من الردة والعياذ بالله.

فأي الفريقين أحق بالصواب؟!

الوقفة العاشرة:

إذا قال المبغض للصحابة: إن الآيات التي تُثني على الصحابة في القرآن (جمعية لا آحادية)[1] فهي لا تشمل جميعهم! قلنا له: سَمِّ لنا من تشملهم التزكية. فلن تجد عنده غير عدد لا يتجاوز أصابع اليدين!! أبمثل هذا العدد يُقام دين يحكم الدنيا إلى قيام الساعة؟! إن خلافنا مع هؤلاء ليس في أمر واحدٍ أو اثنين بل في مِثل أبي بكر وعمر وعثمان، وبقية العشرة، وأصحاب بدر والشجرة رضي الله عنهم، إن خلافنا معهم ليس في بعض أعمالهم البشرية التي صدرت منهم فأقام هؤلاء لها الدنيا ولم يقعدوها، فهم ليسوا معصومين! خلافنا معهم في قولهم بردة جميعهم وانقلابهم على أعقابهم!!

---

(١) انظر: كتاب (حوار مع الشيخ صالح الدرويش) لجعفر سبحاني، و(حوار هادئ مع الدكتور القزويني) للشيخ: أحمد سعد الغامدي.

الخاتمة

أخي القارئ المتأمل..

يُخَيَّل إليَّ - والله أعلم - أنك وقفت طويلاً عند هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ودققت النظر فيها، وأقمت ميزان العدل بينها..

وحسبي فيك.. أنك طالب للحق متبع للدليل.. منابذ للتقليد.. قد أحْكَمت عقلك، فأنت تَزِن بعقلك لا بعقول الآخرين، وترى بعينك لا بعيون الآخرين.

فإن كان الأمر كذلك، فأنا أكاد أجزم، أن فجر الحقيقة قد لاح لك من قريب، وأن معالم الوصول قد ظهرت على الطريق، وأن تراتيل آيات القرآن الكريم قد بَدَّدت ظلمات الأحقاد، وأنت تسمع آياته تثني على أصحاب محمد ﷺ، وتصفهم بالإيمان والصدق والفلاح وجميل الصفات، وتعِدهم أعلى المنازل والرتب، وتذكر خصالهم للسالكين من قبْل وجودهم وبعده.

وتأملت - ولا شك - أن من رضيهم الله تعالى وزراء لنبيه ﷺ وأصحاباً له وأصهاراً. كيف لا نرضاهم نحن؟!

ومن وعدهم ربهم تعالى جنَّات كيف يرتدون عن دينه! ومن فارقوا الأوطان، وهجروا الأولاد والخِلاَّن، وتركوا الدار والأموال، مرضاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، كيف يذادون عن حوضه الشريف وهم أولى الناس به؟!

وعلمت – ولا ريب – أن إلصاق التهمة بهم، والقول بذودهم عن حوض نبيهم، وزعم ردتهم بعد موت رسولهم، تهمة سبئية، وحيلة شيطانية، تعقبها حسرة أبدية.

فإن قنعت أيها المتأمل بما سقت لك من نصوص ربانية، وفصوص نبوية، وبراهين عقلية، فهذا ما أرجوه وأدعو الله به.

وإن كان خلاف ذلك، فحسبي أني أقمت الحجة وبينت المحجة، وأظهرت لك معالم الطريق، ولكل وجهة هو موليها.

وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

المراجـــع

- القرآن الكريم.

- الإبانة عن أصول الديانة -للإمام أبي الحسن الأشعري - تحقيق بشير عيون - دار البيان - الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.

- الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة - حمد الحميدي- تقديم الشيخ عبد الله السعد - دار القاسم - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب - للحافظ ابن عبد البر القرطبي - تحقيق عادل مرشد - دار الأعلام - الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

- الاستنفار للذب عن الصحابة الأخيار - سليمان العلوان - دار إحياء الجهاد - الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة - للحافظ ابن حجر العسقلاني - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

- أصول مذهب الشيعة الإثني عشرية - ناصر بن عبد الله القفاري - دار الرضا - الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

- الاعتصام - للإمام أبي إسحاق الشاطبي - تحقيق سليم الهلالي - دار ابن عفان - الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ.

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد - للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تعليق عبد الرزاق عفيفي - دار الفضيلة - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

- الأعلام قاموس تراجم - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة الحادية عشرة ١٩٩٥ م.

- الإفصاح عن معاني الصحاح - للوزير ابن هبيرة - تحقيق فؤاد عبد المنعم - دار الوطن الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ.

- إكمال المعلم بفوائد مسلم - للإمام أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي - تحقيق د. يحيى إسماعيل دار الوفاء - الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ.

- انتصار الحق مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية - مجدي محمد - الطبعة الأولى.

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث - تأليف أحمد محمد شاكر - دار الفيحاء والسلام - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية - جَمعةُ يسري السيد - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- البداية والنهاية - للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير - إشراف مصطفى العدوي -دار ابن رجب- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

- براءة الصحابة من النفاق - منذر الأسعد - مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

- تأويل مختلف الحديث - للإمام ابن قتيبة - دار الكتب العلمية.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - لأبي العلاء محمد عبد الرحمن المباركفوري - دار الكتب العلمية.

- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة - للإمام محمد بن أبي بكر القرطبي - تحقيق محمود بسطويسي - دار البخاري - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي -لجلال الدين السيوطي - تحقيق نظر الفاريابي - دار الكلم الطيب - الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ.

- تفسير القرآن العظيم - للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير - مكتبة دار الفيحاء والسلام - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- تفسير المنار «تفسير القرآن الحكيم» - محمد رشيد رضا - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

- تقريب التهذيب - للحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق أبي الأشبال صغير أحمد - دار العاصمة - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

- تهذيب التهذيب - للحافظ ابن حجر العسقلاني - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

- تهذيب السنن بحاشية عون المعبود - للحافظ شمس الدين ابن القيم - دار الكتب العلمية.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - للشيخ عبد الرحمن السعدي - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

- الجامع لأحكام القرآن - للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - تحقيق عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - للإمام ابن القيم الجوزية - تحقيق محمد الزغلي- طبع رمادي للنشر - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

- الحجة في بيان المحجة - للإمام أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني - تحقيق محمد ربيع مدخلي - دار الراية - الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.

- حوار مع الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش - جعفر سبحاني - مؤسسة الإمام الصادق- الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ. (شيعي).

- حوار هادئ مع الدكتور القزويني الشيعي الإثني عشري - أحمد سعد الغامدي.

- الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر - لأبي القاسم ابن بشكوال - تحقيق عبد القادر محمد عطا - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

- زاد المعاد في هدي خير العباد - لابن القيم الجوزية - تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة السابعة والعشرون ١٤١٤ هـ.

- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الطبعة الرابعة ١٤٠٨ هـ.

- السنة - للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ.

- سنن ابن ماجه بشرح السندي - للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني - دار المعرفة - الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي - دار المعرفة - الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ

- سير أعلام النبلاء - للإمام شمس الدين الذهبي - إشراف شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة -الطبعة الحادية عشرة ١٤١٧ هـ.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للحافظ أبي القاسم هبة الله اللالكائي - د. أحمد سعد الغامدي - دار طيبة - الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك - لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني - دار الكتب العلمية.

- شرح العقيدة الطحاوية - للعلامة ابن أبي العز - حققها جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة التاسعة ١٤٠٨ هـ.

- شرح العقيدة الواسطية - للشيخ محمد بن عثيمين - دار ابن الجوزي - الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ.

- شرح لمعة الاعتقاد - محمد بن صالح العثيمين - تحقيق أشرف عبد المقصود - مكتبة طبرية- الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

- شرح النووي على مسلم - للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي - دار الكتب العلمية.

- الشريعة - للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري - تحقيق عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - لعلي بن بلبان الفارسي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

- صحيح البخاري - للإمام محمد بن إسماعيل البخاري - دار الأرقم.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.

- صحيح سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

- صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

- صحيح سنن الترمذي - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

- صحيح مسلم بشرح النووي - للإمام مسلم بن الحجاج - دار الكتب العلمية.

- ظلال الجنة في تخريج السنة - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ.

- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي - للإمام أبي بكر بن العربي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

- عقيدة السلف وأصحاب الحديث - للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني- تحقيق نبيل السبكي - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

- العقيدة الواسطية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - دار الصميعي - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ أحمد بن علي بن حجر - مكتبة دار السلام - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- تحقيق عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - للإمام محمد بن علي الشوكاني - المكتبة التجارية.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل - للإمام أبي محمد بن حزم - دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

- فضائل الصحابة - للإمام أحمد بن حنبل - تحقيق وصي الله عباس - دار ابن الجوزي - الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

- في ظلال القرآن - سيد قطب - دار الشروق - الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.

- القاموس المحيط - للإمام أبي الطاهر مجد الدين الفيروزآبادي - ترتيب حسان عبد المنان - بيت الأفكار الدولية - ٢٠٠٤م.

- القبس في شرح موطأ ابن أنس - للإمام أبي يكر محمد بن العربي - تحقيق أيمن نصر وعلاء إبراهيم - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى.

- قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني - عبد المحسن حمد العباد - دار الفضيلة - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

- الكافي - محمد يعقوب الكليني - دار التعارف -١٤١١ هـ. (شيعي).

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - للشيخ أبي القاسم الزمخشري - مكتبة العبيكان - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

- كشف الغمة في بيان خصائص رسول الله ﷺ والأمة - لأبي الحسن مصطفى إسماعيل - مكتبة ابن تيمية - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

- لسان العرب - للإمام ابن منظور - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الثالثة.

- ما روي في الحوض والكوثر - للإمام بقي بن مخلد القرطبي - تحقيق عبد القادر محمد عطا - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

- المجروحين من المحدثين - للإمام ابن حبان البستي - تحقيق حمدي السلفي - دار الصميعي - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه.

- مرويات الصحابة رضي الله عنهم في الحوض والكوثر - عبد القادر محمد عطا صوفي - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة - تحقيق عبد الله الأحمدي - دار طيبة - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

- المستدرك على الصحيحين - للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية.

- مسند أبي داود الطيالسي - للإمام سليمان بن داود الجارود - تحقيق محمد حسن - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

- مسند أبي يعلى - للإمام أبي يعلى الموصلي - تحقيق مصطفي عبد القادر - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

- معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد - تأليف محمد ضياء الرحمن الأعظمي - أضواء السلف - الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ.

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني - دار المعرفة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - للإمام أحمد بن عمر القرطبي - طبع دار ابن كثير - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - للإمام أبي الحسن الأشعري - المكتبة العصرية - الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - تحقيق د. محمد رشاد سالم - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

- الموطأ للإمام مالك بن أنس - تحقيق سليم الهلالي - مكتبة الفرقان - ١٤٢٤ هـ.

- النكت على نزهة النظر: للحافظ ابن حجر العسقلاني - بقلم علي حسن عبد الحميد - طبع ابن الجوزي - الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال -للحافظ شمس الدين الذهبي - تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.

- النهاية في غريب الحديث والأثر - للإمام ابن الأثير الجزري - إشراف علي حسن - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.

فهرس المحتويات